الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف –المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

رقم التسجيل:1533070865
رقم التسلسلي:.....

السلطان عبد الحميد الثاني وسياسته في بلاد الشام وشبه الجزيرة العربية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ
تخصص:تاريخ وطن عربي

من إعداد الطالبين
–عزة زكرياء
–سعودي بغداد

تحت إشراف الأستاذ:
صالح لميش

لجنة المناقشة

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الصفة
حسين شريف	أستاذ محاضر أ	رئيساً
لميش صالح	أستاذ محاضر أ	مشرفا ومقررا
		//////////////////////

السنة الجامعية: 2019–2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

-إلى من علمني النجاح والصبر إلى من ساندني في مواجهة الصعب

أبي أطال الله في عمره

-إلى من علمني وعانت الصعاب لأجلي ، إلى ما أنا فيه وعندما تكسوني الهموم أسبح في بحر حنانها لتخفف من آلامي

أمي الغالية

-إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة إلى رياحين حياتي إخوتي وأخواتي .

-إلى النور الذي ينير لي درب النجاح أستاذتي الكرام .

-إلى من سرنا سويا ونحن نشق الطريق معا إلى النجاح أصدقائي .

-إلى كل طلبة سنة ثانية ماستر تاريخ دفعة 2019-2020م

سعودي بغداد

الإهداء

إلى من غمرتني بالحب والحنان إلى من كانت دعواتها ليلاً نهارا سبب توفيقي ونجاحي إلى من تعبت في تربيتي وأفنت عمرها في تذليل المصاعب في طريقي أمي الحبيبة والغالية

إلى من أحمل اسمه بكل فخر وإلى سندي وقوتي وإلى من كان سبب وجودي في هذه الدنيا إلى الذي شجعني على طلب العلم دوما أطال الله في عمره أبي الغالي .

إلى من كبرت وتربيت معهم إلى من شاركتهم سنين الحياة إلى إخوتي

إلى كل من ساندني طيلة مشواري الجامعي، إلى كل أساتذتي الكرام .

إلى كل زملائي طلبة سنة ثانية ماستر تاريخ دفعة 2020م

عزة زكرياء

الشكر والعرفان

الحمد لله والشكر لله عز وجل الذي أنعم علينا بنور العلم والمعرفة والحمد لله أنه وفقنا في إنجاز هذا العمل المتواضع

نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المؤطر: **صالح لميش** الذي قدم لنا يد العون في إنجاز هذا البحث ولم يبخل علينا بنصائحه وتوجهاته

كما نتوجه بالشكر إلى كل أعضاء اللجنة المناقشة التي تفضلت بقبول مناقشتها لموضوع البحث

ونقدم تشكراتنا إلى جميع أستاذة قسم التاريخ كما نشكر كل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد

قائمة المختصرات:

تح: تحقيق

تر : ترجمة

تع : تعليق

ج :جزء

د-ت : دون تاريخ

د.ط :دون طبعة

د.م :دون مكان

ص :صفحة

مج :مجلد

مقدمة

مقدمة:

تعتبر الدولة العثمانية من أعظم الإمبراطوريات التي عرفها التاريخ لكونها عمرت طويلاً ونظرا لامتدادها الجغرافي الواسع في كل من أوربا وشمال إفريقيا وشبه الجزيرة العربية فشكل امتدادها هذا عاملاً من عوامل ضعفها فقد جاءت الحملة الفرنسية على مصر عام 1978 في عهد نابليون بونابرت ثم الاحتلال البريطاني لشرق وجنوب المشرق العربي في بداية القرن التاسع عشر والاحتلال الفرنسي للجزائر في المغرب العربي عام 1830 فكان صدمة للعقل العربي بفقدان الثقة في الدولة العثمانية التي اعتمد عليها العرب في الدفاع عنهم منذ الخطر الأوربي المسيحي وأصبح العثمانيون يعانون من الهزائم خاصة مع وصول سلاطين إلى الحكم لم يكونوا في مستوى القوة التي عاشتها الدولة العثمانية في عهد السلاطين الأوائل، الذين تمكنوا من فرض هيبتها في العالم الغربي والعالم العربي، إلا أن برزت شخصية هامة حاولت أن تعيد للدولة العثمانية مجدها وتلك المكانة والمكانة التي كانت تتمتع بهما وتمثلت هذه الشخصية في السلطان عبد الحميد الثاني 1876-1909 .

هذه الشخصية اكتسبت أهمية تاريخية وسياسية في تاريخ العرب نظرا لما قدم من أعمال جليلة للإسلام والمسلمين ودافع عن دولة وساهم في توحيد الأمة تحت رايته، خاصة عند وصول إلى الحكم كانت الدولة العثمانية تعيش حالة من الضعف، سواء داخليا او خارجيا ومحاولته محاربة هذه المصاعب والأخطار .

وعليه من خلال هذا المنطلق يمكننا ان نتعرف على الأوضاع التي وصلت إليها الدولة العثمانية عند وصول السلطان عبد الحميد إلى الحكم وعلاقة البلاد العربية بها ومدى تأثرها بتلك الأوضاع .

لقد أنارت هذه الشخصية جدلاً كبيرا خرج بأحكام متباينة على الرجل حيث ينظر إليه البعض على أن حاكم مصلح عادل حكم دولة مترامية الأطراف متعددة الأعراف بدهاء وذكاء ووقف ضد الأطماع الاستعمارية الغربية لاقتسام تركة الرجل المريض التي كانت البلاد العربية تشكل جزءا كبيرا منها بينما ينظر إليه البعض الآخر على أن مستبد ظالم وديكتاتور حكم الإمبراطورية العثمانية بقبضة من حديد لمدة ثلاثة وثلاثون عاماً حكماً فردياً في البلاد العربية .

وللخروج برأي علينا طرح الإشكالية الرئيسية:

-من هي هذه الشخصية ؟ ما هي الظروف الداخلية والخارجية السائدة في الخلافة العثمانية وبلاد الشام وشبه الجزيرة العربية أثناء تولي السلطان عبد الحميد الثاني العرش؟

وانطلاقا من هذه الإشكالية نخرج ببعض التساؤلات وهي:

-ما هي ظروف الدولة العثمانية عند تولي السلطان عبد الحميد الثاني الحكم ؟

- كيف كانت أوضاع البلاد العربية قبيل تولي السلطان عبد الحميد الثاني الحكم ؟

-ما هي أوضاع البلاد العربية بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني ؟

ولمحاولة الإجابة على هذه الإشكاليات قسمنا البحث إلى ثلاثة فصول حيث تناولنا في الفصل الأول شخصية السلطان عبد الحميد الثاني وظروف توليه الحكم تطرقنا فيه إلى التعريف بالسلطان ووصوله إلى الحكم وإصلاحاته .

والفصل الثاني خصصناه لدراسة علاقة البلاد العربية بالدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني حيث تطرقنا فيه إلى دراسة أوضاع البلاد العربية قبيل توليه الحكم .

أما في الفصل الثالث والأخير فكان حول ردود الفعل على سياسة السلطان عبد الحميد الثاني وذلك من خلال الحركات المناوئة لسياسة وأنصار سياسته والمدعمين لها، وأوضاع البلاد العربية بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني .

وحاولنا في الخاتمة أن نضع حوصلة للموضوع من جميع جوانبه تضمنت جملة من الاستنتاجات التي توصلنا إليها في أخر البحث .

وقد حدد هذا الموضوع منهجه المعتمد في دراسة هذه الشخصية إذ فرض المنهج التاريخي نفسه وقد اعتمدنا هذا المنهج في تقرير أحداث ووقائع تاريخية كما اعتمدنا على المنهج الوصفي في شخصية السلطان عبد الحميد وسياسته المتبعة في الدولة .

وتكمن أهمية الدراسة بتعيين الجهود الإصلاحية التي ظهرت في أواخر عهد الدولة العثمانية والتعرف على السلطان عبد الحميد الثاني الذي يعتبر من أهم أعلام الإصلاح الحديث من خلال الكشف عن مسيرته وإصلاحاته ولدراسة هذا الموضوع اعتمدنا على مجموعة من المراجع والمصادر لعل أهمها:

-حرب محمد: السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار 1842-1918 وهذا المرجع يتضمن معلومات كثيرة وقيمة لشخصية السلطان عبد الحميد .

-حرب محمد: مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني وقد أفادنا هذا المصدر في معرفة الحياة الشخصية للسلطان

-علي محمد محمد الصلابي: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط وقد أفادنا في معرفة وفهم أوضاع الدولة العثمانية بصفة عامة والبلاد العربية بصفة خاصة أثناء فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني .

-ولقد واجهتنا صعوبات عدة لإنجاز هذا الموضوع تمثلت في قلة المصادر وصعوبة الحصول على ما توفر منها، أما المراجع فكانت تعاني من نقائص عدة بما يخدم موضوعنا مما شكل صعوبة في اختفاء المعلومات والربط بين الأفكار خاصة أن فترة حكم السلطان عبد الحميد كانت فترة حساسة في حياة الدولة العثمانية عامة وفي حياة البلاد العربية خاصة .

لكننا حاولنا قدر المستطاع التغلب على هذه الصعوبات عن طريق البحث المستمر .

-أنهينا بحثنا هذا باستنتاج عام حوصلنا فيه مختلف النتائج التي توصلنا إليها أثناء إعداد البحث .

وختاماً نرجو أن نكون قد أسهمنا مساهمة متواضعة في دراسة شخصية السلطان عبد الحميد الثاني وسياسته الإصلاحية في بلاد الشام وشبه الجزيرة العربية .

الفصل الأول

شخصية السلطان عبد الحميد الثاني وظروف توليه الحكم

المبحث الأول: التعريف بالسلطان عبد الحميد الثاني

المبحث الثاني: ظروف الدولة العثمانية عند تولي السلطان عبد الحميد الثاني الحكم

المبحث الأول: التعريف بالسلطان عبد الحميد الثاني

1-مولده ووصوله إلى الحكم:

ولد عبد الحميد الثاني في 21 سبتمبر 1842 وهو ابن السلطان عبد المجيد صاحب فرمان التنظيمات الذي ينظم الدولة العثمانية على الطراز الأوربي[1]، وهو السلطان الرابع والثلاثين من سلاطين الدولة العثمانية ماتت والدته وهو في سن العاشرة من عمره فاعتنت به الزوجة الثانية لأبيه فأحسنت تربيته وحاولت أن تكون له أما، فأعطت من حنانها وأوصت بمراثها، تأثر السلطان عبد الحميد بهذه التربية وأعجب بوقارها وتدينها وكان لهذا انعكاس على شخصيته طول حياته[2].

تلقى عبد الحميد الثاني تعليماً منتظماً في القصر السلطاني بالإضافة إلى أن معلميه في القصر كانوا من أبرز رجالات عصره علماً وخلقا وقد تعلم اللغة العربية والفارسية، درس التاريخ وله بعض أشعار باللغة التركية العثمانية، كان له اهتمام منتظم بمعرفة أخبار السياسة العالمية وما كانت بلاده فيها، كما كان له أتباع يكلفهم بجمع الصحف والمجلات لقراءتها[3]، وتدرب على استخدام الأسلحة، وكان يتقن استخدام السيف وإصابة الهدف بالمسدس ومحافظا على الرياضة البدنية قام بزيارة أوربا في عهد السلطان عبد العزيز* الذي ظهر أمام الأوربيين بملابسه البسيطة وسيرته الحميدة وفي هذه الرحلة

---

[1] محمد حرب، مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، ط3، دار القلم، بيروت، 1991م، ص43.

[2] علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2001م، ص399.

[3] محمد حرب، السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار، دار القلم بيروت، لبنان، 1990م، ص ص31، 32.

***السلطان عبد العزيز**: هو عبد العزيز اوغلو محمود حاكم السلطة العثمانية منذ 1861 إلى 1876 تولى السلطة على إثر وفاة أخيه السلطان عبد المجيد الأول(1861: أنظر عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،(د.م)(د.س)، ص838.

الأوربية تفتح ذهن عبد الحميد إلى أمور كثيرة انعكست على فترة حكمه كلها بعد ذلك وهذه الأمور هي:

1-الحياة الأوربية بكل ما فيها من معيشة غربية وأخلاقيات مختلفة .

2-التطور الصناعي والعسكري وخاصة القوات البرية الفرنسية والألمانية وفي القوات البحرية البريطانية .

3-ألاعيب السياسة العالمية .

4-تأثير القوى الأوربية على سياسة الدولة العثمانية[1] .

بعد أن قطع الأطباء في شفاء السلطان مراد، اتجهت الأنظار إلى ولي العهد عبد الحميد الذي كان يراقب كل شيء بهدوء ومن بيته في كاغدخانة في اسطنبول التي كانت تعج بجواسيس الدول الأجنبية، نشطات السفارات في جمع المعلومات عن السلطان الجديد المترقب فالسفارة الإنجليزية التي لم تدم فرحتها كثيرا بوصول مراد إلى الحكم، كانت تعتمد على عملياتها مدحت باشا*.

وكانت المعلومات التي تردها عن عبد الحميد تشير إلى سوء صحته فقد أبرقت السفارة الإنجليزية إلى وزارة الخارجية بهذه البرقية اعتمادا على التقرير المقدم لها من طبيب السفارة الدكتور دكس... إن ولي العهد الأمير عبد الحميد شخص نحيف مصاب بمرض العظام ومرهق وإذا ارتقى العرش فإنه لن يلبث إلا مدة تكفي لكي يؤسس

[1] أورخان محمد علي السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده، ط1 جامعة اسطنبول، تركيا، 2008م، ص57.

***مدحت باشا:** ولد في اسطنبول سنة 1822 الموافق لـ1238هـ، أبوه القاضي الحاج أشرف، درس على يد مشاهير العلماء في اسطنبول تعلم العربية والفارسية وظف في أعمال مهمة وزار البلاد الأوربية، ارتقى عدة مناصب حتى الصدارة العظمى في زمن السلطان عبد العزيز والسلطان عبد الحميد الثاني.أنظر: أحمد أق كوندز وسعيد اوزتوك، الدولة العثمانية المجهولة 303 سؤال وجواب توضح حقائق عن الدولة العثمانية وفق البحوث العلمية، اسطنبول، تركيا، 2008م، ص421.

المشروطية التي سوف يضع أسسها مدحت باشا بتأييد قوي من إنجلترا[1]، فقد تولى السلطان عبد الحميد الثاني الخلافة في 11 شعبان 1923 هـ /الموافق لـ31 أغسطس 1846م[2] بيوم الخميس والساعة 04 والدقيقة 30 جلس للسلطة ولي النعم السلطان عبد الحميد الثاني[3].

بويع بالخلافة بعد أخيه مراد وكان عمره آنذاك أربعة وثلاثين سنة حظر لمبايعته الوزراء والأعيان وكبار الموظفين من مدنيين وعسكريين في سراي طوبقيو وهنأه بالخلافة كذلك رؤساء الطوائف المختلفة، وأطلقت المدافع بسائر اسطنبول ثلاثة أيام وأرسل الصدر الأعظم برقيات لدول العالم لإعلامها بذلك[4].

نلاحظ أن فترة تولي السلطان الحكم هي فترة جاءت في ظروف استثنائية فقد كانت البلاد تمر في أزمات لمؤامرات سياسية بهدف اقتسام تركة الرجل المريض، ومن الاوائل من أطلق هذا الاسم أو عبارة رجل أوربا المريض هو نيقول الأول قيصر روسيا(1241هـ-1825م/1272هـ-1850م) بينه وبين رئيس وزراء بريطانيا وندرسون في إنجلترا، وقد قال قيصر من قبل في أسلوب بعيد عن الدبلوماسية واللباقة:" ليس في استطاعتي أن أبعث الحياة في الموتى أن الإمبراطورية العثمانية دولة ميتة وليس لدى ثقة أن يستمر هذا الجسم العجوز محافظاً على الحياة، إنه في حالة انحلال في جميع النواحي[5].

---

[1] أورخان محمد علي، المرجع السابق، ص57.

[2] سلمان بن صالح الخراشي، كيف سقطت الدولة العثمانية؟ ط1، دار قاسم للنشر، الرياض، ص19.

[3] إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العليا المعروفة بكتاب التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العليا، ط1، 1988م، مؤسسة الكتب الثقافية، ص221.

[4] إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، 1996م، ص183.

[5] نور الدين طيب باي، الدولة العثمانية في عهد جمعية الاتحاد والترقي 1908-1918م، رسالة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ العالم المعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2015-2016م، ص06.

2-إصلاحاته:

بعد أن تولى السلطان عبد الحميد الثاني مقاليد الحكم، كان عليه أن يسير بالدولة إلى شاطئ النجاة والأمان دون ان يعرضها للخطر وقد أدرك أهداف الأعداء وأطماعهم فتحمل المسؤولية بكل قوة وحكمة وبدأ في العمل بكل أناة ورويدة[1].

ولمواجهة الضغوطات الخارجية من طرف الدول الأوربية حين كانت الدولة العثمانية في تلك الفترة تعاني من التفكك الداخلي والتهديد الخارجي، وعلى هذا توجب على السلطان عبد الحميد الثاني مواجهة هذه المخاطر ومحاولة إيجاد الحلول لها فأعداء السلطان ليسوا فقط من خارج البلاد فهم كذلك من داخلها[2] دون أن ننسى الحصيلة المثقلة بالديون إلى جانب العديد من المشاكل، ومن الإجراءات التي اتخذها لمواجهة هذه الأزمة تعيين مدحت باشا صدرا أعظم* وجاء هذا القرار لمحاولة تفويت الفرصة على الدول الأوربية التي كانت تحاول التدخل في شؤون الدولة، حتى يتمكنوا من خلال تحقيق مآربهم في إحلال النظم الغربية بدل الإسلامية في الدولة هذه النظم التي تمثلت في الدستور الأوربي وبالفعل شكل مدحت باشا لجنة مؤلفة من 10 من العلماء وقائدين كبيرين في الجيش، حيث أشرفت هذه اللجنة على وضع الدستور الذي استوحى من الدستور البلجيكي وأصبح الدستور الرسمي للدولة سنة 1876م، وأهم النقاط التي نص

---

[1] سليمان بن صالح الخراشي، المرجع السابق، ص25.

[2] عياض بن خرام الروقي، حروب البلقان والحركة العربية في المشرق العربي العثماني 1912-1913، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث، قسم الدراسات العليا، كلية الشريعة، جامعة ام القرى، مكة، المملكة العربية السعودية، 1990م، ص40.

***الصدر الأعظم:** لقب رئيس الوزراء في السلطة العثمانية منذ عهد سليمان القانوني ويسمى أيضا (الباب العالي)، كان الصدر الأعظم برأس الديوان، ويعقد الاجتماعات الشهرية، ويستقبل كبار الموظفين من هياكل أسبوع وأصبح الصدر الأعظم بعد دستور 1908 مسؤولاً أمام البرلمان، أنظر: عبد الوهاب الكيالي، المرجع السابق، ص632.

عليها الدستور فصل السلطات الأساسية في الدولة وضمان الحريات العامة وإلزامية التعليم الابتدائي[1].

لكن السلطان عبد الحميد سرعان ما قام بتعطيل عمل الدستور وكبح جماح المعارضين بأن ينجح في رفض سلطته داخل الدولة، وخلال السنوات الست لعهده بغير الصدر الأعظم ستة عشرة مرة[2].

وعلى إثر الهزيمة المشينة التي منيت بها الدولة العثمانية في حروبها أمام روسيا، والتي صوت أعضاء الدستور الجديد على دخولها، وبهذا تبين للسلطان عدم فعالية المجلس وسوء تقديره وقصور نظرته وبسبب هذا القرار زجت الدولة العثمانية في حرب كانت هي الخاسر الأكبر فيها[3].

وعلى كل حال فإن الحياة الدستورية لم تظل، لأن عبد الحميد لم يأخذ بالدستور إيماناً وإنما أراد إفساد خطة التدخل الأوربي إضافة إلى استمالة رعاياه[4]

وفي الفترة التي ظل فيها الدستور معطلاً أخذت الدول الكبرى تغذي في روح الانفصال لدى الأقليات في الدولة، مستغلين في ذلك تفشي النزعة القومية لديهم، رأي السلطان عبد الحميد أن تساعد القوميات خاصة المسيحيين خطر الانفصال ودمجهم تحت مضلة الخلافة الإسلامية تفرض عليهم الخضوع للسلطة السياسية والروحية والتضامن

[1] عبد المنعم الهاشمي، الخلافة العثمانية، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2004م، ص155.

[2] روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، ج2، تر: السباعي بشير، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1992م، ص165.

[3] زكية بوخالفة، السياسة العثمانية اتجاه القرمين العرب من القرن 18 إلى القرن 19 في المشرق العربي، رسالة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العالم المعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2015-2016، ص18.

[4] محمود صالح منسي، حركة اليقضة العربية في الشرق الأسيوي، دار الفكر العربي، الرياض، السعودية، 1994، ص72.

الاجتماعية، بغض النظر عن العرق وبالتالي يؤدي هذا الأمر إلى تماسك المجتمع الإسلامي وحافظ الدولة على أراضيها وشعورها[1].

وكان الطريق واضحاً أمام الجميع، فإن السلطان عبد الحميد الثاني يرغب في أن يحكم البلاد على أنماط على أسلاف من الحكام السابقين، وكانت فكرة الجامعة الإسلامية في الفرصة التي تمهد للسلطان النفوذ والسيطرة على شؤون البلاد ويعاونه في ذلك مجتمع ديني يعلو على القوميات، والتأثير في العناصر العربية بانتهاج سياسة التودد والاهتمام بالمؤسسات الدينية والتعليمية .

لقد كان السلطان عبد الحميد، حريصاً على تشكيل مجالس شعبية تعاون الدولة في أداء مهمتها ولهذا أصدر قرارا في 5 شوال 12/2هـ /24 أكتوبر سنة 1876م بتنظيم مجلس عمومي (برلمان) يتكون من مجلس أحدهما ينتخب الأهالي أعضاؤه ويسمى " مجلس المبحوثان " والأخر يعين أعضاؤه من طرف الدولة ويسمى " مجلس الأعيان " وبهذا يعطي أبناء الملل جميعاً من رعايا الدولة العثمانية الفرصة للتعبير عن مطالبهم والإصلاح لأحوالهم فيقطع بذلك الطريق على التدخل الأجنبي بحجة إصلاح أموال النصارى [2].

حرص السلطان عبد الحميد الثاني على إتمام مشروع خط السكة الجديدة التي تربط بين دمشق والمدينة المنورة لما كان يراه من أن المشروع فيه تقوية للرابطة بين

[1] محمد فاروق الخالدي، المؤامرة الكبرى على الشام دراسة تحليلية للنصف الأول من القرن العشرين، دار الراوي، بيروت، لبنان، 2000م، ص84.

[2] جمال عبد الهادي محمد مسعود، وفاء رفعت جمعة، أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ الدولة العثمانية، ج2، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، 1955م، ص11.

المسلمين، تلك الرابطة التي تمثل صخرة صلبة تتحطم عليها الخيانات والخدع الإنجليزية على حد تعبير السلطان نفسه[1].

استلم السلطان عبد الحميد إدارة الأعمال بمهمة ونشاط واظهر الوزراء رغبة في إصلاح الأمور في خط الهمايوني*ومما يلفت النظر في هذا الخط:

1-حرص عبد الحميد على أن تكون القوانين لأحكام الشرع المقدس .

2-الإشارة إلى تمرد الأقليات النصرانية في أطرف البوسنة والهرسك ومسألة عصيان الصرب، والدم المهرق بين الطرفين إنما هو دم أولاد وطن واحد[2].

أصدر السلطان عبد الحميد الثاني، في فبراير سنة 1856م، قمة تأثير التدخل الخارجي في توجيه السياسة العثمانية وتشكيلها، فرغم أن إعلان الخط الهمايوني هو شأن داخلي لتنظيم العلاقة بين السلطان ورعاياه ...أي العامل الخارجي لم يعد مشكلاً لسياسة الدولة، بل صار أيضاً مشكلاً لولاءات رعاياه، بحيث صار هؤلاء تبعة الدولة العثمانية كقوى خارجية بشكل سافر وواضح أمرا واقعاً لا تملك الدولة معه سوى التكيف والقبول[3].

إن عبد الحميد لم يكن معادياً لأي إصلاح لا يهدد السلطة، وهو لا يريد من الغرب بالحضارة لأنه يرى أن للشرق حضارة الإسلامية وإنما يريد ما بهم فقط من العلوم الحديثة حسب تعبيره هو وحتى المهم لم يكن ضد التقدم ولكن يعتقد أن الأمور القيمة يجب أن تكون طبيعية، وأن تأتي من الداخل وحسب الحاجة إليها، ولا يمكن أن يكتب لها النجاح

---

[1] سليمان بن صالح الخراشي، المرجع السابق، ص ص27-28.

[2] جمال عبد الهادي محمد مسعود، وفاء رفعت جمعة، ص11.

***الخط الهمايوني:** الاسم العام الذي يطلق على الأوامر الصادرة من السلاطين وبكتابة أيديهم أو ما حرره الكاتب وأمضاه السلطان، وقد سمى هذا الخط الهمايوني بالخط الشريف أيضاً. أنظرك سهيل صابان، المرجع السابق، ص101.

[3] كمال السعيد حبيب، الأوليات والسياسة في الخبرة الإسلامية من بداية الدولة النبوية وحتى نهاية الدولة العثمانية (622م إلى 1908م) (1هـ إلى 1325هـ)، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2002م، ص ص329-330.

إذا كانت على شكل تطعيم من الخارج وهكذا أفاد عبد الحميد من الغرب بطريقته الخاصة وبحسب حاجات الدولة كما يراها[1].

قام السلطان عبد الحميد بالقضاء على معظم الإقطاعات الكبيرة المنتشرة في كثير من أجزاء الدولة والعمل على القضاء على الرشوة وفساد الإدارة، عامل الأقليات والأجناس غير التركية معاملة خاصة كي تضعف فكرة العصبية وغض طرف على بعض إساءاته، مثل الرعب الذي نشرته العصابات، ومثل محاولة الأرمن مع اليهود اغتياله أثناء خروجه لصلاة الجمعة، وذلك الحي لا يترك أي ثغرة تخف منها الدولة والنصرانية للتدخل في شؤون الدولة[2].

وجاء في بيانات الإصلاح قرار امتيازات الطوائف غير الإسلامية وإعلان المساواة في المعاملة وتأمين الحرية الدينية لكل طائفة، وكذلك فتح المجال لكافة رعايا الدولة في الوظائف واستفادتهم من خدمات الدولة التعليمية، كما وعد التنظيمات كذلك السماح للأجانب بالتملك في الدولة، وتنظيم ميزانية الدولة عن طريق التقيد بتنظيم إرادات ومصروفات الدولة وتسجيلها بدقة في سجلات خاصة[3].

كما شملت إنجازات 18 مدرسة مهنية، وتأسيس دار الفنون عام 1900م التي تحولت فيما بعد إلى جامعة اسطنبول، إضافة إلى بناء شبكات من المدارس الابتدائية والثانوية والعسكرية، كما قدم على بناء شبكة من السلك التلغرافية، وإعادة تنظيم وزارة العدل بشكل طور المحاكم المدنية والتجارية[4].

[1] أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ط2، دار الشروق، القاهرة، 1986م، ص242.

[2] أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص242.

[3] إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، 1996، ص ص 184-185.

[4] عبد الوهاب الكيالي، المرجع السابق، ص881.

كانت المدارس الحميدية هي البيئة الأولى التي تمت فيها مشاعر حب الحرية وبخاصة تلك القائمة في العواصم الولايات بفعل بعدها عن مراقبة الحكومة ثم امتدت إلى المدارس السلطانية الثانوية في غلطة سراي في إسطنبول وهي مدارس الدولة[1]، يقول السلطان في مذكراته:" لقد ارتفع عدد المدارس منذ اعتليت العرش إلى عشرة أضعاف ما كانت عليه (200.000 مدرسة) ومع ذلك فلا تفي هذه المدارس بالحاجة ونحن بحاجة إلى فتح مدارس إعدادية تهيء الطلاب لدخول مؤسسات علمية ليتخرج منها مهندسون ومعماريون وفنيون[2] .

كما وضع السلطان برنامجا للإصلاح القضائي، وطلب من وزارة العدل اتخاذ الإجراءات لوضع قوانين تشمل عمل المحاكم المدنية وتحديد اختصاصاتها وإعداد لوائح لتنفيذ أحكام الاستئناف في الولايات[3].

وتمت إصلاحات عسكرية هامة جدا في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، الذي استخدم عددا من الجنرالات الألمان المتخصصين ومنهم فون دركولج وفحون هوفدوكامب هرفد حين قاموا بتدريب مختلف الفرق العثمانية على أحدث الأسلحة وطبقاً لمتطلبات العصر، كما أرسل السلطان عبد الحميد بعثات عسكرية إلى ألمانيا، وقام بافتتاح عدد من الأكاديميات والمدارس العسكرية العليا والثانوية والإعدادية والابتدائية بحيث توفر للجيش العثماني احتياجات من مختلف +المستويات، كما قام بتجهيز الجيش بأرقى الأسلحة الحديثة وأنفق على تجارب الخواصة في اسطنبول فبدل أن تملك بريطانيا واحدة، كما

[1] محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط3، دار النفائس، بيروت، لبنان، 2013، ص504.

[2] السلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسة 1897-1908، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1979م، ص187.

[3] محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص523.

استدعى خبيرا اسمه جان ديكر لإقامة مركز تلغراف مجهز بأقوى الخطوط الهاتفية، لربط اسطنبول بجميع الولايات عبر خطوط زاد دولها عن 30 ألف كلم[1].

لقد واجه السلطان عبد الحميد كل المشاكل بشجاعة فائقة، فقد أدرك أن الدولة بحاجة إلى الإصلاح لكنه إصلاح على طريقة الخاصة، فرفض دعوة الإصلاحيين وألغى الدستولا كما رفض التدخل الأجنبي في شؤون بلاد الداخلية وأحد بأسباب بناء الدولة، فأنشأ المدارس والمعاهد والكليات المتخصصة وأعاد بناء الجيش على أسس سلمية وتبث سياسة الجامعة الإسلامية التي تهدف إلى جمع كلمة المسلمين وعلى مختلف بلدانهم والوقوف صفا واحد تحت مظلة الخلافة في مواجهة الدولة الاستعمارية[2].

نلاحظ بأن السلطان عبد الحميد الثاني، حيث اعتلى العرش كانت البلاد العثمانية الخاضعة له وأوضاعها الداخلية والخارجية لا يحمد عقباها، فقد بدأ عهد السلطان عبد الحميد الثاني بداية سيئة، فقد أدرك الدولة بحاجة إلى الإصلاح، لكن هذا الإصلاح يجب أن يخدم البلاد العثمانية بأخذ كل ما هو بناء لها ويرمي بكل ما هو هداماً للبلاد، فقام بحملة من الإصلاحات التي ذكرت سابقاً .

[1] أحمد عبد الله الفليج، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، مؤسسة صقر، الكويت، 1984، ص90.

[2] محمد بن عبد الله آل زلفة، الإصلاحات العمرانية في الولايات العربية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني على ضوء الوثائق والصور الفوتوغرافية، دار بلاد العرب للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2012م، ص07.

المبحث الثاني: ظروف الدولة العثمانية عند تولي السلطان عبد الحميد الثاني الحكم

1-الظروف الداخلية:

أ-الانقلاب:

تولى السلطان عبد العزيز الحكم بعد أخيه السلطان عبد المجيد الأول عام 1861، وكان السلطان عبد العزيز قد زار أوربا ورأي اتفاق وتأمر الدول الأوربية على الدولة العثمانية، فحاول أن يستفيد من الخلاف القائم على المصالح بين دول أوربا الغربية وروسيا لمصلحة الدولة العثمانية فبدأ يكثر من دعوة السفير الروسي إلى اسطنبول فخافت الدول الأوربية، وبدأت تشيع الشائعات عنهم في التبذير والإسراف، واستطاع مدحت باشا أن يعزله ثم قام مع عصابته يتقلد في عام 1293هـ/1876م[1].

إن مدحت باشا من يهود الدونمة*روجت له الدعاية الماسونية في أنحاء الشرق العربي والغربي على أن البطل العظيم حامل لواء الإصلاح والحرية في السلطة العثمانية وسمي أبو الدستور وسخرت لدعايتها من صحف ومجلات وإذا مات فوصل إلى الرتب منها باشوية سوريا والعراق،و منصب الصدر الأعظم الذي يعتبر أكبر الرتب في السلطة العثمانية[2].

وبعد الوفاة المريبة للسلطان عبد العزيز تم تنصيب مراد الخامس سلطاناً والذي لم تقدر مدة حكمه سوي ثلاثة وتسعون يوما، دفعته إلى السلطة الحركة الماسونية ولكن أصيب بخلل عقلي بعد أن أصاب الفزع عند إيقاظه بعد منتصف الليل عند خلع السلطان عبد العزيز مما أدى إلى إصابته باضطرابات عصبية أثرت عليه كثيرا فتدهورت صحته

---

[1] جلال يحي، العالم العربي الحديث والمعاصر،ج1، المكتب الجامعي الحديث، د.ط، الإسكندرية، 2001، ص199.

***الدونمة:** مذهب ديني جديد، يعني اليهود المسلمين لهم حياتهم الخاصة ظهر في القرن 17.

[2] علي محمد محمد الصلابي، مرجع سبق ذكره، ص526.

في حين كان مدحت باشا يحاول إعلان الدستور الوظيفي بدلاً من الشرعي أثناء مرضه، ويدرس القوانين والنظم الغربية، ويتصل بأعوانه إلا أن تمكن من إعداده بشكل جاهز، وبعد أن ظهر جنون السلطان للناس كان لابد من خلعه وأعلن ذلك من قبل شيخ الإسلام عام 1876م وكان نص الفتوي " إذا جن إمام المسلمين جنوناً مطبقاً ففات المقصود من الإمامة فهل يصح حل الإمامة عن عهدته ؟ " وبعد عزله تعافى من مرضه العقلي وأمضى باقي حياته في جراغات حتى توفى عن عمر يناهز الرابعة والستين[1].

ب-إعلان الدستور 1876:

كانت الفترة التي سبقت حكم السلطان عبد الحميد الثاني صعبة وحرجة حيث اشتهر السلطان عبد العزيز بالتبذير وحب الرحلات والبذخ، فقد زار مصر عام 1863 وباريس عام 1867 كما أقام عدد من القصور الضخمة فأضطر غلى الاعتماد على القروض الأجنبية في الإنفاق على ترف، وواصلت هذه الديون ما يقارب مائتي مليون جنيه استرليني في سنة 1875 وأعلن عن إفلاس الخزينة العثمانية في هذه السنة، كما امتاز عهده بقيام الثورات في معظم الأقاليم الأوربية الخاضعة للدولة العثمانية .

وبالنسبة للبلاد العربية فلم تعرف قيام ثورة عربية علنية أثناء حكمه رغم أن الأوضاع فيها كانت تبعث على عدم الرضا وقلة صبر الأهالي على مساواة الحكم. وفيما يخص الأراء التحررية فكانت لا تزال في الأوائل سنواتها، ولم تنجح سوياً في ايقاض بعض النفوس وسط هذه الملايين من العرب سكان الشرق الأوسط، وكانت الدولة العثمانية تحاول ضم جميع أنحاء الجزيرة العربية بأهلها فاحتلت الأحساء سنة 1817م واليمن في العام الثاني[2].

[1] علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية، المكتب الإسلامي، ط2، 1415هـ-1994م، ص ص209-210.

[2] جلال يحي، مرجع سابق، ص200.

في ظل هذه الظروف تمت المناداة بعبد الحميد سلطاناً على الدولة العثمانية في 31 أوت 1876 الساعة الثانية عشر توفي 7 سبتمبر 1876 تمت مراسيم تتويجه بتقلد السيف في مسجد أبي أيوب الأنصاري كما جرت عليه العادة وحظر لمبايعة الوزراء والأعيان وكبار الموظفين من مدنيين وهنأه بالخلافة كذلك رؤساء الطوائف المختلفة وأطلقت المدافع في سائر أطراف اسطنبول ثلاثة أيام وأرسل الصدر الأعظم برقيات إلى دول العالم لإعلامها بذلك[1] وكانت الوزارة تحت رياسة محمد رشدي باشا فستعانى وتولاها مدحت باشا وفي 23 ديسمبر 1877 أعلن السلطان الدستور الذي كانت مقررته مستوحاة من الدستور البلجيكي التي نشرت تحت اسم قانون أساسي والذي تضمن تسعة عشر مادة وفي 19 مارس 1877 افتتحت أولى جلسات البرلمان العثماني وكان أهم ما تضمن الدستور ما يلي:

1-إلغاء امتيازات اسطنبول التي كانت لها متى ذلك الوقت إدارة خاصة والتي كان سكانها معقين من الخدمة العسكرية وضريبة الدخل.

2-إطلاق لفظ العثمانيين على جميع رعايا الدولة العثمانية والاعتراف بحريتهم الشخصية.

3-اعتبار الإسلام دين الدولة على أن تتولى الدولة حماية جميع المذاهب الدينية المعترف بها أيضاً .

4-إطلاق حرية الصحافة ضمن نطاق القانون، وإفساح المجال أمام الجميع العثمانيين المتمسكين باللغة التركية لاحتلال منصب في الدولة وفقا لكفايتهم .

[1] عبد القادر دهدة أوغلو، السلاطين العثمانيين، تر: محمد خان، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1998، ص84.

5-إقامة التمثيل الشعبي عن طريق مجلسين، احدهما النواب والمبعوثان والآخر للشيوخ (الأعيان)[1].

كما نص الدستور على أن شخصية السلطان لا تمس وأن لا يسأل أمام أحد عن أعماله، وهكذا كان الدستور مرتبطاً بشخصه فكان له الحق في تعيين وإقالة الوزراء كما أن هو الذي يعقد المعاهدات ويعلن الحروب ومعاهدات الصلح وهو القائد العام للقوات المسلحة ومن حقه كذلك إصدار كافة القوانين في جميع المجالات دون الرجوع إلى البرلمان، وهكذا ظل عبد الحميد الثاني يتمتع بالسلطة التي لم يسبق لأسلافه أن تمتعوا بها وكان مدحت باشا أول ضحاياه بإضافة إلى أن الصلاحيات التي منحها الدستور للسلطان قلصت من سلطة رئيس الوزراء[2].

وهكذا كان الدستور 1876 في مظاهره عبارة عن تنازل واستسلام من جانب السلطان أما في جوهره فيقطع من خلال عدة مواد، حددت إحداها حقوق السلطان واحتفظت الأخرى للحكومة بسلطة واسعة في إعلان القانون العسكري كما تعطي السلطات سلطات واسعة في نفي الأشخاص غير المرغوب فيهم[3].

ويظهر من خلال هذا الدستور طباع مدحت باشا المتحررة الذي كان يرى في ضرورة الحد من سلطة السلطان المطلقة من أجل إصلاح الدولة، كما حاول التسوية في المعاملة بين مختلف الأجناس في الدولة .وذلك كأساس لتأييد الحكومة الدستورية الجديدة بقوة شعبية لكن تحقيق هذا الهدف كان بعيدا نوعا ما لأن الدولة العثمانية كانت تعيش حالة نفسية صعبة، إذ أن الشعوب المسيحية في الدولة العثمانية كانت تطمح للوصول إلى

[1] عز تلوه يوسف بك آسف، صفحات من تاريخ مصر، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الأن، تقديم الدكتور زينهم محمد غرب مكتبة مدبولي.

[2] علي محمد محمد الصلابي، مرجع سابق، ص528.

[3] عبد العزيز عمر عمر، تاريخ المشرق العربي، 1922م، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (د.ط)، لبنان، ص283.

مرحلة القوميات وبالتالي كانت تمر بمرحلة انفصالية، لا يمكنها أن تسير فيها إلا جانب سيرها في حركة تكتلية، مع بقية العناصر الأخرى في الدولة لهذا عمل مدحت باشا على القضاء على حركة عدم الرضا العام والشعور به، عن طريق مزج كل أجناس الدولة تحت ديمقراطية واحدة، مما يظهره بمظهر المحور المتحرر أكثر من إظهاره شكل رجل الدولة ولقد أدخل السلطان تعديلات على دستور مدحت باشا قبل نشره، مما جعله لا يضمن المساواة التامة بين الجميع لكن حافظ على خضوع وتعاون الجميع مع الدولة العثمانية كما أن هذا الدستور حد من السلطة المطلقة التي تمتع بها السلاطين على حساب الشعب[1].

2-الظروف الخارجية:

أ-الامتيازات الأجنبية:

تعرف كلمة الامتيازات اصطلاحا بأنها مجموعة من الحقوق التي تمنح للدول الأجنبية من قبل دول أخرى بناءا على اتفاق مبرم بينهما[2].

وتاريخ الامتيازات العثمانية التي منحتها للدول الأوربية قديم جدا يعود لعام 1536 على إثر تحالف عقده السلطان سليمان القانوني(1520-1556) مع فرنسا لتخليص " فرانسو الأول ملك فرنسا من قبضة شارل الخامس ملك الإمبراطورية النمساوية، وكانت هناك دوافع من وراء هذه الامتيازات الأجنبية أدت بالدولة العثمانية للعمل بها حيث نجد أن هذه الأخيرة أرادت أن تستفيد من الحرب القائمة بين الكاثوليك والبروتستانت وبناء علاقات

[1] جلال يحي، مرجع سابق، ص ص202،203.

[2] يوسف حسن عمر، مرجع سابق، ص56.

متميزة مع البروتستانتية من جهة، ولمساعدة فرنسا من جهة أخرى حتى لا تكون لقمة صائغة لألمانيا وإسبانيا وكسب حليف إلى جانبها وهو فرنسا[1].

ولقد أثرت هذه الامتيازات تأثيرا سلبياً على الدولة العثمانية وجعلتها تعيش ضعفاً على جميع المستويات، وفي الوقت نفسه أقرت للدول الأوربية الكثير من الحقوق وحالت هذه الامتيازات دون قيام الدولة بمشروعات إصلاحية، أو استنباط موارد مالية جديدة لمواجهة نفقات الإدارة والحكم، فقد اعتبرت بمثابة مواثيق مذلة للعثمانيين[2].

كما أضعفت التجارة الداخلية والخارجية الدولة بسبب إعفاء الأوربيين من الضرائب الجمركية وغزو منتوجاتها سوق الدولة العثمانية.

وما أضر بالدولة أكثر هو اعتبار الدول الأوربية أن نظام الامتيازات حق من حقوقها إذا أكد خط كلخانة1839 والخط الهمايوني 1856 على ضمان المساواة بين جميع أصناف رعايا الدولة العثمانية[3].

ثم جاءت معاهدة سان ستيفانو التي أقرت استقلال الجبل الأسود ورومانيا وصربيا وأخيرا مؤتمر برلين 1878 الذي تم فيه تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية بين الدول الأوربية[4].

ولما أراد السلطان عبد الحميد الثاني إلغاء الامتيازات قامت الصحف الأوربية بالصياح والعويل واظهروا الدولة العثمانية بمظهر المعتدي على حقوق الآخرين وهكذا استمر العمل بنظام الامتيازات الأجنبية التي ألغيت بعد معاهدة لوزان عام 1923 بعد تأكد الدول الأوربية بأنه لا رجعة للسلطنة والخلافة للإسلام .

---

[1] قيس جواد العزاوي، الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط (1994-2003م)، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ص ص18-19.

[2] المرجع نفسه، ص ص21-24-27.

[3] يوسف حسين عمر، مرجع سابق، ص57.

[4] يوسف حسين عمر، مرجع نفسه، ص71.

ب-التنافس الدولي وظهور المسألة الشرقية:

-مفهوم المسألة الشرقية:

من الصعب حصر المسألة الشرقية في إطار واحد من التعريف ولكن يمكن القول بأنها تتناول تضارب المصالح والتنافس العنيف الذي وقع بين الدول الأوربية، فيما بعض ممتلكات الدولة العثمانية وظهرت هذه المسألة في أواخر القرن 18م[1].

-أسباب ظهورها:

في النصف الأول من القرن 19م وقع حادثان خطيران دفعا بالدول الأوربية الكبرى تركيز اهتماماتها بالشرق العربي وحملاها على التدخل في شؤونه، وكان أولهما الحملة الفرنسية على مصر (1798-1801)، وثانيهما تعاظم قوة محمد علي العسكرية والانتصارات التي أحرزها في حروبه ضد السلطان محمد الثاني الذي حكم منذ (1830-1839) وهنا أدركت الدول الأوربية مدى ضعف الدولة العثمانية ومن الضروري تصفية وجودها[2].

والشيء الذي أكد ضعف الدولة العثمانية وعجزها في القضاء على حملة بونابرت إلا بعد مساعدة بريطانيا لها التي عملت على إجلاء القوات الفرنسية من مصر عام 1801م وسيطرت عليها فيما بعد[3].

وأيضاً انهزام العثمانيين مرات عديدة أمام قوات محمد علي وابنه إبراهيم باشا في معارك عدة منها معركة قونية سنة 1832 م التي اضطر فيها العثمانيون إلى توقيع صلح كوتاهية في 1833[4]، وبوصول قوات محمد علي باشا إلى الشام والأناضول اضطرت الدولة

[1] عبد العزيز عمر عمر، مرجع سابق، ص44.

[2] عبد العزيز عمر عمر، مرجع نفسه، ص42.

[3] حلمي محروس، تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997، ص307.

[4] كارل بروكلمان، الشعوب الإسلامية، تر: نبيل أمين فارس ومنير، ط1، دار العلم، 1993م، (د.ب)، ص56.

العثمانية إلى الاستنجاد بروسيا وعقدت معها معاهدة (أنكير أسكلة سي) في 1833م لدفع قواة محمد علي وتحالفت معهم فرنسا وبريطانيا وهنا أدركت روسيا ضعف الدولة العثمانية وعملت على تصفية ممتلكاتها[1]، فاحتلت في هذه الفترة (الأفلاق والبغدان) رومانيا حاليا وكانت روسيا من أكثر الدول تحمساً لتقسيم الدولة العثمانية إذ كانت تعمل على تطبيق التعليمات التي وضعها القيصر الروسي" بطرس الأكبر " مؤسس روسيا الحديثة وتطبيق وصايا الإسكندر الأول وتحريضهم على الانفصال عن الدولة العثمانية[2].

كما تظافرت عوامل أخرى أدت إلى ظهور المسألة الشرقية نذكر منها:

-أن الطريق الذي تستطيع به روسيا الوصول إلى المياه الدافئة كانت بحوزة الدولة العثمانية وهذا الطريق المتمثل في مضيقي البسفور والدردنيل[3].

-رغبة روسيا في مد نفوذها في البلقان، ومن ثم الاستيلاء على القسطنطينية ولتقوية مركزها أمام فرنسا وبريطانيا إن تم لها ذلك .

-ولقد أقنعت الأحداث التي أدت إلى عقد معاهدة لندن 1840 القيصر الروسي نيقولا الأول أن الدولة العثمانية بلد يحتضر وأطلق عليها اسم الرجل المريض وذلك في سنة 1844[4].

تحديد المسألة الشرقية سنة 1853:

أعاد القيصر الروسي نيقولا الأول في سنة 1853 عبارة رجل أوربا المريض في حديثه المشهور مع السفير البريطاني سيمور وعرض على الدول الأوربية تقييم أملاكه، لكن بريطانيا رفضت بشدة وهذا ليس حباً في الدولة العثمانية وإنما لحماية مصالحها

[1] كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص548.
[2] يوسف حسن عمر، مرجع سابق، ص72.
[3] علي محمد محمد الصلابي، مرجع سابق، ص412.
[4] يوسف حسن عمر، مرجع سابق، ص71.

الاستعمارية بها وحماية طرق مواصلتها إلى الهند من الخطر الروسي أو أي عدو أخر ودخلت في تنافس كبير مع فرنسا وروسيا لحماية مكانتها في وسط الدولة العثمانية.

وبهذا ذهبت روسيا لتحقيق مصالحها بنفسها واتخذت من مشكلة الأماكن المقدسة بفلسطين سببا لذلك إذ كانت ترى نفسها حامية الأرثودوكس بها لكن السلطان العثماني قام بتسليم مفاتيح كنيسة القيامة لفرنسا وهذا ما أثار غضب روسيا فدخلت في حرب مع الحلف الفرنسي الإنجليزي والدولة العثمانية عرفت بحرب القرم منيت فيها بهزيمة نكراء واضطرت لعقد معاهدة باريس في 30 مارس 1856 التي منعتها من الاستيلاء على القسطنطينية[1]، ثم حدثت أحداث تاريخية جعلت من بريطانيا تغير من سياستها التقليدية اتجاه الدولة العثمانية ففي عام 1869 فتحت قناة السويس وأدركت بريطانيا أهمية هذا الطريق المائي لمواصلاتها مع الهند فقامت بشراء أسهم الخديوي إسماعيل في قناة السويس في سنة 1875 وفي هذه السنة استعدت روسيا لمحاولة أخرى تحل بها المسألة الشرقية وتمردت البلقان بتحريض منها وأعلنت الحرب عليها عام 1877 التي انتهت بعقد مؤتمر برلين سنة 1878م[2].

وفي هذا المؤتمرات قامت الدول الأوربية بتقسيم ممتلكات الدولة العثمانية بالشرق وتصفية وجودها وتخلت بريطانيا على سياستها التقليدية في المحافظة على ممتلكات الدولة العثمانية وكانت الدول الأكثر اهتماماً بمصير الدولة ومصير أملاكها هي:

بريطانيا: أرادت تأمين طرق مواصلاتها إلى الشرق الأقصى بالهند وتأمين تجارتها سواء عن طريق السويس أو البحر الأحمر، وعن طريق الخليج العربي ونهري دجلة والفرات[3] ثم

[1] عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص71.

[2] عبد العزيز عمر، المرجع نفسه، ص454.

[3] علي محمد محمد الصلابي، مرجع سابق، ص441.

فكرت في احتلال مصر، ثم فكرت في كريت ثم في قبرص وأخيرا استقر رأي سولزبيسري رئيس وزير خارجية بريطانيا على قبرص لأنها مفتاح غربي آسيا[1].

وفي عام 1878 اضطرت الدولة العثمانية لقبول احتلال إنجلترا لجزيرة قبرص نظير حماية هذه الأخيرة للدولة العثمانية، كما احتلت البحر المتوسط إلى بحيرة فرنسية وبهذا سائت العلاقة بين بريطانيا والدولة العثمانية[2].

فرنسا:

قامت بحماية الرعايا النصارى الكاثوليك في بلاد الشام والمارونين على الأخص في لبنان فأرادت حماية مصالحها ثم استعلاء نفوذها في أملاك الدول الأخرى كما حصل في الشمال الإفريقي إذا احتلت الجزائر في سنة 1830 وتونس عام 1882 [3].

روسيا:

أرادت أن تجد لها منفذا من البحر الأسود إلى المياه الدافئة بالبحر المتوسط وذلك بالاستيلاء على القسطنطينية ومضيق البوسفور والدردنيل إذ أرادت أن يكون لها أكبر نفوذ في شبه جزيرة البلقان لتؤسس دولة كبرى.

النمسا:

كانت تتطلع للتوغل داخل أملاك الدولة العثمانية لتوسيع رقعتها ومد حدودها إلى البحرين الأدرياتيك والمتوسط ولكنها كانت تنفذ سياستها بحذر شديد عكس روسيا[4].

---

[1] عبد العزيز عمر عمر، مرجع سابق، ص445.

[2] عبد العزيز عمر عمر، مرجع سابق، ص446.

[3] علي محمد محمد الصلابي، مرجع سابق، ص446.

[4] علي محمد محمد الصلابي، المرجع نفسه، ص446.

ج-الأزمة البلقانية:

لقد كانت التمردات والتوترات التي ظهرت في البلقان من أهم المسائل التي أثرت كثيرا على مجريات الأحداث في الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ومن هذه التمردات نذكر:

تمردات البوسنة والهرسك:

في عام 1875 ثار سكان البوسنة والهرسك، ضد ملتزمي الضرائب الأتراك ما زاد الطلب بل قيام سكان الجبل الأسود والصرب بتحريض بلاد الهرسك للخروج عن الدولة العثمانية واتسعت دائرة الثورة أيضاً بتشجيع من روسيا غذ استغل النصارى ابتزاز أموالهم من قبل بناء بلدهم وبدئوا بإحداث الاضطرابات ولكن الدولة العثمانية تمكنت من قمعها في مهدها[1].

وكانت النمسا أيضا من وراء هذه التمردات إذ كانت ترغب في ظلم البوسنة والهرسك وعملت مع بقية الدول الأوربية بإرسال مذكرة للسلطان عبد الحميد الثاني، نطلب فيها إجراء إصلاحات تحت مراقبة مندوبين من الأجانب لكن نصارى البوسنة لم يتقبلوا ذلك، والحقيقة أن المطالبة بهذه الإصلاحات ليست إلا مبررات واهية لتدخل هذه الدول في شؤون الدولة العثمانية[2].

فحاول السلطان منع تدخل الدول الأوربية فأصدر قرار يفصل فيه القضاء عن السلطة التنفيذية والمساواة في الضرائب بين المسلمين والنصارى ولكن باء ذلك بالفشل[3] ودفعت الدول الأوربية سكان البوسنة والهرسك للقيام بالثورة ضد العثمانيين وذلك لأن روسيا

---

[1] كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيل أمين فارس ومنير بعلبكي، ط1، دار العلم، 1993، (د.ب)، ص587.

[2] علي محمد محمد الصلابي، المرجع السابق، ص444.

[3] المرجع نفسه، ص446.

كانت ترغب في توسيع حدودها جهة بلغاريا والنمسا تريد أن تتوسع من جهة البوسنة والهرسك ووعدت أمير الصرب والجبل الأسود بدعمها للانفصال عن الدولة العثمانية، ثم شرع أمير الصرب بالتدفق سرا إلى أراضي المتمردين لمحاربة العثمانيين الذين تمكنوا من الانتصار عليهم فتدخلت الدول الأوربية وهددت الدولة العثمانية بالحرب إن لم تتوقف على محاربة المتمردين[1].

التمردات في بلغاريا:

في جانفي سنة 1876 اشتعل لهيب الثورة أيضاً في بلغاريا وذلك بعد أن أصدر الباب العالي المتخبط في الضيق المالي أمر بجباية جميع الضرائب المتأخرة في أربعة أسابيع[2].

ومن أسباب إندلاع هذه الثورة أيضاً هو أن الدولة العثمانية قد أنزلت بعض العائلات الشركسية لها فاستغل عملاء الروس هذه الهجرات وادخلوا في روع البلفار أن الدولة العثمانية تريد إقطاع أراضي هؤلاء الشركس، فاحتج البلغاريين على ذلك وقاموا بالثورة ضد الدولة العثمانية بمساعدة روسيا والنمسا[3].

فتمكنت الدولة العثمانية من القضاء على الثورة فأثارت الدول الأوربية شائعات تمثلت في ارتكاب العثمانيين مجازر رهيبة ضد النصارى[4]، ولكن ما حدث هو العكس إذ قام ثوار بلغاريا بمذابح بين المسلمين، وهذا ما أثار الرأي العام الإسلامي حيث قام طلاب المدارس الدينية وأتباع الطرق الصوفية بمظاهرات صاخبة واعتبروا السلطان عبد العزيز مسؤولاً عن ذلك ثم تولى السلطان مراد الخامس الحكم سنة 1876، ومن ثم تم عزله

[1] علي محمد محمد الصلابي، مرجع سابق، ص447.
[2] يوسف حسن عمر، مرجع سابق، ص42.
[3] يوسف حسن عمر، مرجع سابق، ص42.
[4] علي محمد محمد الصلابي، مرجع سابق، ص447.

بعدها تم تولية السلطان عبد الحميد الثاني السلطة في 1876 فاستغلت بلغاريا هذه الأوضاع الصعبة للدولة العثمانية وقامت بتوسيع هجماتها لكن العثمانيين تمكنوا من السيطرة على الوضع[1]، ثم اجتمع مندوبوا الدول الأوربية وقدموا اقتراحات للدولة العثمانية من أهمها تقسيم بلاد البلغار إلى ولايتين ويكون ولاتهما من النصارى وأن تعطي مثل هذه الامتيازات لإمارتي البوسنة والهرسك لكن الدولة العثمانية رفضت هذه القرارات وذلك لأن الدول الأوربية كانت تسعى لسقوط الدولة العثمانية وهذا ما ذكره السلطان عبد الحميد في مذكراته[2].

الحرب الروسية العثمانية: (1877-1878م)

كانت روسيا دائما تسعى للوصول إلى المياه الدافئة وتكوين أسطول في البحر الأسود كقوة لمجابهة أعدائها وكانت قد استعدت لهذه الحرب منذ نحو ربع قرن تقريباً أي منذ انهزامها في حرب القرم وتوقيعها لمعاهدة باريس 1856م[3].

ولقد ذكر بطرس الأكبر الذي ولد في 1627م في وصيته للروس على ضرورة الصراع ضد العثمانيين، إلى أن تنتهي الدولة العثمانية، إذ يقول في الفقرة التاسعة من وصيته :" نقرب إلى القسطنطينية والهنود بقدر الإمكان فمن ملك القسطنطينية فقد ملك الدنيا ويقول في الفترة الحادية عشر :" نشارك النمسا فيما قصدناه من إخراج الترك من أوربا فإن ظهرنا بالاستيلاء على القسطنطينية وأظهرت النمسا شيء من الغيرة نسلم لها جانبا مما تحصلنا وتسترجعه في أول فرصة[4] فاهتمت روسيا بتنفيذ هذه الوصية .

[1] يوسف حسين عمر، مرجع سابق، ص ص43-44.

[2] علي محمد محمد الصلابي، مرجع سابق، ص ص448-449.

[3] إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العليا المعروفة بكتاب التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العليا،ط1، 1988، مؤسسة الكتب الثقافية، ص259.

[4] علي محمد محمد الصلابي، المرجع السابق، ص ص449-550.

إعلان الحرب:

في عصر السلطان عبد الحميد الثاني كثرت الثورات بدعم من روسيا والدول الأوربية في البلقان واليونان وأيضاً قيام دول نصرانية مستقلة مثل رومانيا وبلغاريا والصرب واليونان فاستغلت روسيا هذه الأوضاع وأعلنت الحرب على الدولة العثمانية في 24 أفريل 1877 أرسلت روسيا كتابا إلى توفيق باشا المكلف بمصالح الباب العالي لدى روسيا والدول الكبرى بأن الاضطراب في الشرق يعيق تطورها السلمي وهي مضطرة لإعلان الحرب على الدولة العثمانية فتدخلت رومانيا إلى جانب روسيا، وسمحت لعدد غفير من الضباط الروس بالتسلل عبر أراضيها إلى بلاد الصرب، وأيضا سمحت للجيوش الروسية بعبور أراضيها إلى بلاد الصرب، وأيضاً سمحت للجيوش الروسية بعبور أراضيها للاشتباك عبرها مع الجيوش العثمانية، وعبرت الجيوش الروسية نهر الدانوب بقيادة القائد الروسي " جوركوه " في أواخر 1877م، واستولت على بعض المدن العثمانية التي تقع في بلغاريا حالياً[1].

واستولوا في بلغاريا حالياً على ممر " شيكا " الذي يسيطر على الطريق المؤدية إلى أدرنة، كما حاولوا الاستيلاء على مدينة بلفة* ومحاصرتها.

لكن القائد العثماني الغازي " عثمان باشا " تصدى لهم وهزمهم، فحاولت روسيا محاصرة العثمانيين، وازدادت قوتها بوصول تعزيزات إليها إذ انحصر القيصر الروسي بنفسه المعركة وانضم إليه أمير رومانيا " كارول"، وفرضوا حصار طويلاً على القوات العثمانية وتمكن عثمان باشا اختراق هذا الحصار وكاد أن يهزمهم لو لم يصب بجروح عندما دخلت القوات الروسية المدينة، فاضطر لتسليم نفسه، ويكفيه شهادة القيصر الروسي

[1] إبراهيم بك حليم، المرجع السابق، ص252.

***بلفة:** تقه اليوم شمال بلاد بلغاريا بالقرب من الحدود الرومانية وإلى شمال شرق صوفيا.

بشجاعته الذي أقبل عليه وسلمه بنفسه وقال له:" إن مثلك أيها البطل يحق له الفخر دائماً" [1].

شجعت الانتصارات الروسية التمردات في البلقان ضد الدولة العثمانية التي أشغلتها ذلك في محاربة الروس فاستغلت روسيا ذلك واستولت على صوفيا (عاصمة رومانيا حاليا) وتوجهت جنوباً إلى أن وصلت إلى اسطنبول، وهناك أدرك السلطان عبد الحميد الثاني أن إطالة أمد الحرب لا فائدة منه، وطلب عقد هدنة مع روسيا وكانت في 30 جانفي 1878م عرفت بهدنة أدرنة، اشترطت فيها روسيا: استقلال الصرب ورومانيا ودفع غرامة مالية لروسيا فوافقت الدولة العثمانية[2].

معاهدة سان استفانو مارس 1878م:

وهي امتداد لهدنة أدرنة، أنذرت فيها روسيا الدولة العثمانية ضرورة الموافقة على شروطها قبل شهر مارس سنة 1878ن وإلا فإن هدنة أدرنة تعتبر لاغية، وعلى أثرها يحتل الجيش الروسي العاصمة اسطنبول[3].

ولم يكن من خيار أمام العثمانيين إلا التوقيع على شروط المعاهدة، ولقد أضرت هذه المعاهدة بالدولة العثمانية وعلاقتها بالدول الأوربية، ثم جاء اجتماع الدول الأوربية وهو الذي أضر بالدولة العثمانية أكثر تخوفاً ورفضا لنتائج معاهدة سان استفانو من ضياع مصالحها أمام نفوذ روسيا لذلك رأت أنه من الضروري تعديل هذه المعاهدة، كما عارضت النمسا أيضا هذه المعاهدة لرغبتها في ضم ولايتي " البوسنة والهرسك" في حين ظلت فرنسا على الحياد[4].

[1] إبراهيم بك حليم، مرجع سابق، ص259.
[2] يوسف حسين عمر، مرجع سابق، ص88-89.
[3] يوسف حسين عمر، مرجع سابق، ص89.
[4] يوسف حسين عمر، مرجع نفسه، ص90.

اضطرت روسيا إلى إعادة النظر في معاهدة الصلح، واتفقوا جميعاً على أن يعقدوا اجتماعاً في برلين في 13 ماي 1878م، الذي استمر 31 يوماً ووضعت قراراته في 24 مادة وكان على رأسه المستشار الألماني " بسمارك " وكان أهم بنوده ما يلي:

-منح رومانيا والجبل الأسود وبلاد الصرب استقلالهم التام مع تخلي رومانيا عن صربيا لروسيا .

منح النمسا احتلال البوسنة والهرسك[1].

-الإبقاء على الغرامة المالية التي قررتها معاهدة سان استفانو على الدولة العثمانية وتقدر بـ 2.5 مليار .

-الوقوف على تسحين أوضاع النصارى في جزيرة كربت[2].

وهكذا كان مؤتمر برلين ضربة قاضية للدولة العثمانية التي أرغمت فيه على التنازل على أجزاء واسعة من ممتلكاتها للدول الأوربية، حيث سيطرت إنجلترا على قبرص وفرنسا على تونس 1881م، كما احتلت إنجلترا مصر 1882م وحققت جميع الدول الكبرى منها روسيا ما سعت إليه وباتت الدولة العثمانية الرجل الميت وليس الرجل المريض.

[1] كارل بروكلمان، مرجع سابق، ص587.

[2] علي محمد محمد الصلابي، مرجع سابق، ص454.

خلاصة الفصل:

لقد كانت الدولة العثمانية عند وصول السلطان عبد الحميد الثاني إلى الحكم عام 1876م، تعيش أوضاعاً صعبة، حيث كثرت فيها الاضطرابات الداخلية، في حروب مع الدول الأوربية وهنا كان لابد على السلطان عبد الحميد أن يعرف كيف يتصرف مع هذه الظروف، دون أن يؤثر على مكانة الدولة العثمانية وهيبتها أمام القوى الأوربية

الفصل الثاني: علاقة البلاد العربية بالدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني

المبحث الأول: أوضاع البلاد العربية قبيل حكم السلطان عبد الحميد

المبحث الثاني: البلاد العربية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني

تمهيد:

وقعت البلاد العربي تحت السيطرة العثمانية في القرن 16 عام 1516في عهد السلطان سليم الأول ومنذ حملة نابليون على مصر عام 1798، طرأت تغيرات كبيرة بظهور الحركات الانفصالية فقد استولى محمد علي على مصر وبلاد الشام 1932، وقيام الدولة السعودية على يد الأمير محمد بن سعود عام 1803 ومن هنا اضطربت علاقة البلاد العربية بالدولة العثمانية فأصبحت الدولة العثمانية تولي اهتماماً كبيرا بالبلاد العربية خاصة في بلاد الشام وشبه الجزيرة العربية، واستمرت في هذه السياسة حتى بعد مجيء السلطان عبد الحميد الثاني، فما هي الأوضاع التي كانت عليها البلاد العربية عند وصوله للحكم؟ وما هي السياسة التي انتهجها فيها ؟

المبحث الأول: أوضاع البلاد العربية قبيل حكم السلطان عبد الحميد الثاني

الأوضاع السياسية:

خلال العصر العثماني الثاني 1840-1916 شددت الدولة العثمانية قبضتها على الحجاز وذلك بالتدخل في شؤون شرافة الحجاز، خاصة بعد حفر قناة السويس وفتحها للملاحة البحرية عام 1869، الأمر الذي أوجد طريقاً مائياً مباشرا بين " إسطنبول " وساحل البحر الأحمر الشرقي، ومكن الدولة العثمانية من فرض سيطرتها على الأجزاء الغربية والجنوبية من جزيرة العرب. وأصبح في وسع الدولة العثمانية منذ 1870 إرسال المؤن والإمدادات العسكرية إلى جيوشها باليمن بحرا عبر قناة السويس وعلى ذلك استطاع العثمانيون في عام 1872. غزو اليمن من جديد دون مساعدة شريف الحجاز[1].

وكانت اليمن قد وقعت تحت الاحتلال البريطاني، حيث احتلت بريطانيا عدن في 19 جانفي 1839 وابتعت أساليب مختلفة للسيطرة على الإمارات والمشيخات في المناطق الجنوبية ما يسمى بمعاهدة السلام والصداقة والتعاون منذ الشهور الأولى لاستيلائها على عدن ثم طورتها بتوقيعها اتفاقيات الحماية التي تعني الهيمنة الكاملة على تلك السلطنات والإمارات .

وكانت أولى هذه الاتفاقيات مع شيوخ ساحل عدن منعت بموجبها الاتجار بالرقيق وذلك عام 1820، وتم تطبيقه في بريطانيا عام 1833، وبعد أن قضت على منافسيها في المنقطة وهم البرتغال وهولندا وفرنسا، وكذلك روسيان حيث تمكنت من فرض سيادتها على الضفة الغربية من الخليج، والقسم الجنوبي منه، فقضت على المقاومة العربية وهيمنت على المنطقة، وأقامت المحميات ورسخت أقدامها بواسطة سلسلة من المعاهدات،

[1] محمد حسن العيدوس، تاريخ الجزسرة العربية والمعاصر، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الكويت، الطبعة الأولى، 1996م، ص383-391.

قيدت من خلالها المنطقة، وأصبحت سيدة على مياه الخليج وازداد تدخل بريطانيا في الخليج بعد فتح قناة السويس عام 1869 الذي نشط التجارة وحفر القوى الأوربية الأخرى على المشاركة في التجارة الشرقية[1].

كما شهدت مناطق الجزيرة الشرقية تغيرات سياسية، فقد تهاوت إمارة بني خالد في الأحساء عام 1792م أمام ضربات السعوديين وانهارت قوتهم العسكرية في معركة غريمل عام 1789 وفي عام 1793 أصبحت الأحساء إمارة سعودية يحكمها أمير من غير أهلها كما برزت إمارة جديدة محلية في المناطق الشرقية قبل غزو الإمارة بني خالد، حيث استقر آل خليفة في قطر، قادمين من الكويت عام 1766 وبعد عشرين سنة قام آل خليفة بزعامة أحمد بن محمد بغزو البحرين وانتزاعها من العثمانيين عام 1783[2].

أما بلاد الشام وتحديدا لبنان فكانت تعيش وضعية خاصة نتيجة الصراع الديني حيث خلف انتقادات اتجاه إظهار المشاعر الدينية، ضد السلطات الدينية، فإن جبل لبنان عاش في ظل وحدة رومانية أكيدة، لكن المشكل الذي كان يطرح بشدة هو أن الكنائس الأولى كانت متصارعة ومن جهة أخرى فقد فشل نظام الإزدواجية فهناك فريق من الدروز وآخر من الموازنة، وظهر هذا الفشل والصراع في عام 1842، وكانت وضعية الدروز المالية سيئة مقارنة بالموازنة الذين كانوا تجار أغنياء .

وعلى إثر هذه الأوضاع تم تكوين لجنة دولية في جوان 1861 لوضع نظام سياسي جديد لحكم لبنان، أصبح بمقضاة تحت حكم ذاتي برئاسة حاكم مسيحي يخضع للباب العالي مباشرة، عرف باسم المتصرف يساعده مجلس إداري مكون من 12 عضوا

[1] زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث، شبه الجزيرة العربية، كياناتها السياسية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص128.

[2] عبد الكريم محمود غرايبة، تاريخ العرب الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1987، ص60.

عضوان من كل طائفة من الطوائف الدينية الكبرى هي: الدروز، المارونين السنين، الشيعة، الروم، الأرثدوكس، الكاثوليك[1].

وفي عام 1779 تمكن أحمد باشا الجزار من الحصول على باشوية دمشق إلى جانب باشويتي صيدا وطرابلس، وقد ساءت حالة دمشق كثيرا في أيام الجزار بسبب الضرائب الباهضة التي كان يفرضها على الأهليين، وانخفاض العملة وسياسة الاحتكار وإسراف الباشا في إراقة الدماء.

وبعد انتهاء الحملة الفرنسية على مصر، تمكن الجزار من العودة من جديد إلى دمشق مرتين الأولى في عام 1799 والأخرى والأخيرة عام 1803، وكان في المرتين أكثر فتكاً مما أدى إلى هروب الكثير من أهالي دمشق بحثا عن ملجأ لهم في حلب ولبنان[2]، ثم جاء بعده سليمان باشا الذي تمكن من أن يحكم جنوب سوريا لمدة خمسة عشر عاماً 1804-1819، واستمر لبنان تحت حكم الشيها بين إلى حد أن جاء محمد علي إلى بلاد الشام عام 1833-1839 وبعدها عادت بلاد الشام إلى الحكم العثماني المباشر وتقطعت اوصالها مرة أخرى بعد أن تمتعت بالوحدة والرخاء على يد إبراهيم بن محمد علي[3].

لقد عاشت البلاد العربية أوضاعاً سياسية متوترة، مع بداية القرن 19 صعبت نوعا ما من مهمة السلطان عبد الحميد الثاني في إعادة الاستقرار والأمن لها لكن السلطان استطاع بحنكته وذكائه الحادين، التصدي لمواجهة مثل تلك الصعوبات الداخلية والخارجية، حيث أدخل إصلاحات عسكرية واقتصادية وسياسية ففي هذا المجال، اهتم بعدد من المتنورين العثمانيين ومن بينهم خير الدين باشا التونسي، إذ أعجبته الأفكار التي جاءت في كتابة "

[1] رأفت الشيخ، تاريخ العرب الحديث، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية طبعة معدلة ومزيدة منقحة، الكويت، 2005، ص54-70.

[2] محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي، (1514-1914)(د ط)، دار تكنوبرنت القاهرة، 1985، ص160.

[3] رأفت الشيخ، مرجع سبق ذكره، ص70-72.

أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك" فأقدم السلطان عبد الحميد على تعيينه " صدرا أعظم" كما أن اسم هذا السلطان اقترن بما يسمى بالجامعة الإسلامية التي تنبع من أفكار جمال الدين الأفغاني، وقد استفاد منها السلطان عبد الحميد لتقوية الوازع الديني، في دولته، وجمع شمل العالم الإسلامي في مواجهة الهجمة الاستعمارية[1].

2-الأوضاع الاقتصادية:

كان للأوضاع السياسية التي عاشتها البلاد العربية في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر أثرا كبيرا على الحالة الاقتصادية خاصة مع ظهور التكالب الاستعماري على البلاد العربية، من أجل تحقيق أكبر استفادة من خيرات هذه البلاد وجعلها تعيش في أزمة اقتصادية، لكي يحق لها التدخل في شؤونها والسيطرة عليها سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

كانت الأوضاع الاقتصادية للبلاد العربية في بداية ومنتصف القرن التاسع عشر سيئة نتيجة سيطرة الأجانب على اقتصاد البلاد، خاصة بعد قيام الثورة الصناعية في بريطانيا في أواخر القرن الثامن عشر، أدى إلى زيادة التكالب على الأسواق التجارية وظهور أهمية العالم العربي كمصدر للمواد الخام، وكسوق واسع للصناعات الأوربية وزادت الامتيازات الأجنبية بين الدول الأوربية والدولة العثمانية من وقوع العالم العربي في قبضة الاستعمار الأوربي، فكان دخول البضائع الأوربية إلى البلاد العربية سبباً في سقوط المراكز الصناعية القديمة فيها، وانقراض كثير من الحرف والصناعات[2].

[1] عبد القادر دهدة أوغلو، ت، محمد خان، المرجع السابق، ص85.

[2] شوقي عطا الله الجمل ومجموعة مؤلفين تاريخ العالم العربي الحديث والمعاصر منذ الفتح العثماني للعالم العربي إلى الوقت الحاضر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص29.

ومنذ منتصف القرن التاسع عشر، وفي 18 فيفري 1856 على وجه التحديد سمح السلطان العثماني عبد المجيد الأول 1839-1960 للأجانب تحت ضغط فرنسا وإنجلترا تملك العقارات، وبعد سنوات أصدر فرماناً منحهم فيه حق تملك الأراضي داخل الإمبراطورية العثمانية وتكونت شركات عقارية، اشترت الأراضي بأسعار بخسة، وحصلت هذه الشركات على حق امتلاك أراضي واسعة، جئت من ورائها أرباحاً طائلة، وتأسست شركات احتكارية صناعية وتجارية كان أهمها قناة السويس عام 1865، وعلى أثر هذا وقعت البلاد العربية في دائرة الديون الأجنبية كما حدث لمصر في عهد سعيد وإسماعيل، وكما حدث لتونس ومراكش وكانت فوائد الديون، باهضة للغاية، وسمحت للدول الدائنة بالسيطرة على ميزانيات الدول المدينة، وسيطرت الدول الدائنة على ميزانيات الدول وسيطرت البنوك الأجنبية على مالية الدول العربية[1].

إن هذه الحالة التي وصل إليها الاقتصاد العربي أثرت على السكان، خاصة مع تزايد عبئ الضرائب الذي أثقل كاهل السكان، أدى بهم إلى الهجرة، خاصة لدى السوريين، فقد دفع الانخفاض في الإمكانيات الاقتصادية للمناطق الداخلية للإمبراطورية العثمانية بعض من الناس إلى الانتقال وتخليهم عن أراضيهم بحثاًعن وسائل الحياة في أماكن أخرى، ومن جهة أخرى جذبت الإمكانيات المتحسنة لوجود العمل في العالم الجديد هؤلاء الناس، وكان أغلب الذين هاجروا من الإمبراطورية مسيحيين قصدوا أمريكا بحثاً عن العمل، ولم يكن سبب هجرتهم راجعاً لظلم الحكام العثمانيين لهم، ولكنهم أرادوا أن يحسنوا من وضعيتهم المادية فاختاروا الهجرة، والدليل على ذلك ثلث من هؤلاء عادوا إلى المناطق التي خرجوا منها، وذلك بعد أن تمكنوا من جمع ما يكفيهم للعيش في حياة كريمة.

[1] شوقي عطا الله الجمل، ومجموعة مؤلفين، المرجع السابق، ص31.

وبالإضافة إلى هذا هاجر عدد قليل من المسلمين من الإمبراطورية، اضطروا إلى تغيير دينهم في أمريكا، أو اعتنقوا المسيحية، حتى يتجنبوا الاضطهاد أو العنصرية وكان عدد الذين هاجروا من سوريا ولبنان 600.000 من عام 1870 ومن دول عربية، أخرى بحوالي 100.000[1].

وكان لهذه الأوضاع أثر على سلوكات الناس في البلاد العربية أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، حيث انتشر الإسراف والتبذير في الإنفاق على الأحياء والأموات، فقد كان العرب يخسرون أموالهم وممتلكاتهم التي يأخذها الأجانب، إلى جانب التواكل الذي كبل عقولهم عن التفكير وأيديهم وأرجلهم عن العمل والسعي، وأسلموا أمرهم للأجنبي وصاروا يتمسكون بأمثال مثبطة للهمم مؤدية للشلل الاجتماعي مثل قولهم:" سيبها على الله " ولا تفكر ولها مدبر" وأصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب " وإذ أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبول" [2].

لقد وصلت الدولة العثمانية خلال القرن التاسع عشر إلى حالة اقتصادية مزية أثرت على البلاد العربية، حيث سيطر على اقتصادها الأجانب الذين عملوا على استغلال خيرات البلاد لصالحهم، وفي المقابل كان السكان يعيشون في فقر، ولكي يتصدى السلطان عبد الحميد لهذه الأزمة، فكر في ربط العالم العربي بأوربا، وذلك عن طريق إنشاء خطوط سكك حديدية متمثلة في خط سكة حديد الحجاز عام 1900 ومشروع خط سكة حديد برلين بغداد وذلك لإنعاش الحياة الاقتصادية في المشرق العربي وتحسين أوضاعه وجعله على اتصال بالمناطق الأخرى خاصة بأوربا .

[1] محمد مزالي، الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني، المجلة التاريخية المغربية، الطبعة الأولى، تونس، 1989، ص 26-27.

[2] رأفت الشيخ، المرجع السابق، ص72.

3-الأوضاع الثقافية:

وقع المجتمع العربي تحت السيطرة العثمانية وعان منها طويلاً، ولكن من خلال هذه المعاناة أخذ هذا المجتمع يبرز كجزء من الإمبراطورية العثمانية المترامية الاطراف بل هو يمثل قومية مضطهدة محرم عليها التطور والنمو وممنوع عنها ممارسة طموحاتها المشروعة ولم تكن الخلافة العثمانية إلا ستارا يخفي تحته واقع اضطهاد قومية مسيطرة لقومية مظلومة[1].

فقد انتشر الجهل والفقر والأوهام والعادات والبدع بين العرب، كما انتشر داء الفرقة والخلاف فلا رابطة اجتماعية تجمعهم لتحقيق الخير لهم، فأخذهم الفقر داء للفرقة على غنى بلادهم، واتساعها وخصبها ولكنهم يجهلهم لا يعملون على الانتفاع بها وتسلمهم الذل والهوان على قوتهم وكثرة عددهم، وتركوا بلادهم نهباً مقاسماً بين الأوربيين، ورضوا بأن يكونوا لهم خداماً طائعين.

كما انتشر عدد من رجال الدين الأدعياء الجهلاء، يوهمون الناس بالباطل ويدعونهم إلى حج قبور الأولياء، وانتشرت الطرق الصوفية، فأصبحوا يزينون للناس الشفاعة من دفناء القبور، وغابت عن الناس فضائل القرآن الكريم، وبذلك بعدوا عن جوهر الدين الإسلامي[2].

أمام هذه الأوضاع السيئة، كان لابد من يقظة فكرية واجتماعية، فمع بداية القرن التاسع عشر ظهرت معالم نهضة أدبية وفكرية في كل من مصر وسوريا حيث قامت المدارس الحديثة على أيدي الإرساليات التبشيرية الأجنبية وعلى أيدي الهيئات الوطنية المحلية على السواء، وتميز القرن التاسع عشر بظهور حركة تعليمية رائعة خاصة مع

[1] محمد مزالي، المرجع السابق، ص25.

[2]- رأفت الشيخ، المرجع السابق، ص ص 238-239.

ازدياد النفوذ الأجنبي مثل فرنسا واهتماماتها بسوريا فمنذ عام 1860 ازدهرت الحركة الثقافية ازدهارا كبيرا، وظهر الكثير من الكتاب، ومن أبرز هؤلاء :بطرس البستاني*، ناصيف وإبراهيم البازجي[1]، أحمد فارس الشدياق[2]، عبد الرحمان الكواكبي*، ومحمد عبده

كما شهدت لبنان حركة ثقافية وفكرية كبيرتين تمثلت في إنشاء المدارس والكلية، والجامعة، الأجنبية والوطنية ومنها الكية الأمريكية (الجامعة الأمريكية اليوم، والتي أنشأها الدكتور الامريكي كورنيليوس فات ديك عام 1866، ثم كلية القديس يوسف اليسوعية التي أنشأها الآباء اليسوعيون –كذلك مدارس الكلية الوطنية التي أنشأها المعلم بطرس البستاني والمطران يوسف الدبس الماروني وغيرها)[3].

وكان من أبرز مظاهر اليقظة الفكرية العربية هو إنشاء الجمعيات السياسية والأدبية والعلمية، حيث تشكلت في العالم العربي والإمبراطورية العثمانية قبل إعلان الدستور عام 1876، خمس عشرة جمعية ذات أهداف خيرية، أهمها الجمعية العلمية في بشكتاش بأسطنبول، كما أنشأ المبشرون الأمريكيون نادياً في بيروت، ثم تحول إلى ما

***بطرس البستاني**: 1819–1883 من لبنان من أعظم أركان النهضة، اشترك مع فانديم في ترجمة الكتاب المقدس إلى العربية–من آثاره قاموس المحيط، ويعتبر من رواد الصحافة العربية الأولين من أشهر صحفه، الجنان والجنة .

* **ناصيف اليازجي**: ولد عام 1800 في لبنان، تلقى علومه الأولى على أبيه، وأنهاها على راهب المازوني إلى جانب مطالعته الوافرة، توفي عام 1871 من أشهر مؤلفاته طوق الحمامة، أما إبراهيم اليازجي فهو ابن ناصيف اليازجي.

* **أحمد فارس الشدياق**: 1801–1887 في لبنان من عائلة مارونية درس العربية والسريانية أقام في مصر، وتلقى علوم اللغة والبلاغة والشعر والصرف اعتنق الإسلام، توفي بأسطنبول 1887.

* **عبد الرحمان الكواكبي** (1854–1902) نشأ في حلب عمل بالصحافة والأدب وحرر جريدة الشهباء وأصدر بعدها جريدة الاعتدال، وهو من رواد الحركة الإصلاحية العربية .

* محمد عبده: ولد عام 1849 بمحافظة الحيرة، التحق بالجامع الأزهر في 1866، عمل مدرساً للتاريخ وفي عام 1882 اشترك في ثورة أحمد عرابي ضد الإنجليز، أس صحيفة العروة الوثقى توفي بالإسكندرية عام 1905، ينظر توفيق علي برو: العرب والترك في العهد الدستوري العثماني، 1908–1914، معهد الدراسات العربية العالية، 1960، ص13–14.

عرف باسم الجمعية الدستورية1847-1850 وفي جانفي عام 1868 ثم فتح أبوابها للمسلمين والدروز.

وكان من أهم هذه الجمعيات في بيروت الجمعية الشرقية الكاثوليكية التي أسسها اليسوعيون عام 1850 فتحت في دمشق أول جمعية عام 1874 اسمها جمعية رباط المحبة التي ضمت أربعين عضوا وفتحت فرع لجمعية شمس البر في بيروت عام 1869 التي عملت على نشر مبادئ الدين المسيحي ومكافحة الرذيلة وعمل الخير[1].

والواقع أن الهدف الأسمى لأعضاء هذه الجمعيات التنصيرية لم يكن تنصير السكان بل كان لأعضائها أهداف سياسية واقتصادية واجتماعية عملوا على تحقيقها لمصالح الدول الأوربية التي بعثت بهم إلى بر الشام، وكان المنصرون يضمرون العداوة والبغضاء نحو العرب المسلمين، وعداوة أخرى اتجاه المسيحيين المختلفين عنهم مذهبياً، وكان اليسوعيون أشد المنصرين تعصباً تأججت في نفوسهم الروح الصليبية العنيفة[2].

لقد تميزت الساحة الثقافية مع نهاية القرن التاسع عشر في العالم العربي بظهور الوعي العربي الذي تميز بظهور تيارين، قومي وإسلامي كان بينهما تداخل في كثير من الأحيان، وما تعرض له من خبرات أدى إلى تبلور الوعي القومي العربي الحديث ولم يكن مجرد ردة فعل تيارات الفكر العربي، حيث بدأت تسير إلى النهضة العربية.

[1] عبد الكريم محمود غرايبة، مرجع سابق، ص ص261-266.

[2] عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية، دولة إسلامية مفترى عليها، الجزء الثاني، دار تكنوبرنت للطباعة، القاهرة.

المبحث الثاني: البلاد العربية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني

1-في الميدان الإداري والسياسي:

كان السلطان عبد الحميد الثاني لا يؤمن بحق الشعب في تسير أموره بحكومة دستورية لذلك نجده قام بإلغاء دستور مدحت باشا، حيث كان يهدف هذا الأخير إلى الحد من سلطة السلطان الاستبدادية، وقام السلطان أيضاً بحل المجلس النيابي وتخلص من الزعماء الدستوريين، والديمقراطيين، وأقام حكمه الاستبدادي وسلطته الفردية[1].

فإذا به أقل مدحت باشا من منصبه في أفريل 1877 ونفاه بتهمة الخيانة العظمى[2].

كما عطل دستوره لمدة واحد وثلاثين سنة تحت حجة أنه قائم على أساس الفكر العربي وهذا ليس إلا من أجل تشديد وتقوية مركز حكمه الاستبدادي وخوفاً من انفلات السلطة من يده.

وعند وصول السلطان عبد الحميد الثاني إلى العرش، كانت الدولة العثمانية تشمل كل من سوريا، العراق وشبه الجزيرة العربية، فقام بتنظيمات إدارية استهدف بها زيادة سلطة الوزارة العثمانية المركزية على كل الأقاليم، فقسمت الإمبراطورية في عهده إلى عدة ولايات وهي حلب، بيروت، سوريا، وأنشأ سنجقين في لبنان، وسنجق في بيت المقدس.

أما العراق فهي الأخرى قسمها إلى ثلاث ولايات:" الموصل، بغداد، والبصرة" ولكن حالة العرب لم تكن تسمح بقيام مثل هذه الإدارة المركزية، وذلك لتناحرهم واختلافهم على السلطة وأيضاً لمحاولتهم التحرر من سلطة عبد الحميد الثاني.

[1] منذر معاليقي، معالم الفكر العربي في عصر النهضة، دار إقرأ، ص216.

[2] كارل برو كلمان، المرجع السابق ، ص09.

-كما حاول السيطرة على اليمن فأرسل لها حملة في عام 1882م، ولكنه لم يستطع أن يصل بنفوذه إلى أبعد من الأحساء، أما وسط الجزيرة فقد ظل خاضعاً بالفعل لأسرتي آل سعود وآل رشيد[1].

ومن أجل دعم فكرة الخلافة في العالم العربي، أي استمالة العرب إليه فقد يكون عبد الحميد الثاني يد جماعة من الضابط والجنود العرب وكون منهم حرساً خاصاً له، كما عين بعض العرب في مناصب القصر السلطاني، وأوكل إليهم مهمة القيام بشؤونه الخاصة[2].

ومن بين هؤلاء العرب نجد " عزت باشا العابد" وهو عربي من الشام، بقي ثلاثة عشر عاما في منصبه إذ عينه السلطان مستشارا في الشؤون العربية حتى تنحيته عام 1908م وأيضاً الشيخ أبو الهدى الصيادي"، وهو من كبار العلماء و" سليم باشا اللبناني الذي عينه كوزير للخراج والمعادن[3].

-ولم تقف حدود السلطان في توثيق صلته بالعرب عند هذا الحد، بل عمد غلى مصاهرتهم فزوج أميرتين من أسرته بشابين عربين، ورقاهما إلى مرتبة الوزارة، وهذا الأمير " عبد الحميد بن الشريف على حيدر، وصالح بك خير الدين التونسي: كما قرب إليه عناصر من الأكراد والشراكسة والألبنانين[4].

واستخدم أيضاً في الميدان الإداري: جهازا استخباريا قويا، اعتمد فيه على الكبت والجاسوسية وازداد فساد هذا النظام خطره مع ازدياد عدد هؤلاء الجواسيس، وزيادة سلطتهم في الدولة، حيث وضع نظام محكم للرقابة كما عمل السلطان عبد الحميد الثاني

[1] جلال يحي، مرجع سابق، ص205.

[2] عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج2، دار تكنوبارت للطباعة، القاهرة، ص206.

[3] حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص ص333-334.

[4] عبد العزيز محمد الشناوي، المرجع نفسه، ص208.

على قمع كل محاولة إقامة صحافة حرة خشية أن تنفضح سياسة حكمه المستبدة المطلقة[1].

ولقد فسر السلطان عبد الحميد الثاني استعماله لهذه الأجهزة الاستخبارية للقضاء على كل الخونة المتعاملين مع الدولة الأجنبية، يقول :" لا يمكن للدولة أن تكون أمنة إذا تمكنت الدول الكبرى أن تجند لخدمة أهدافها أشخاصاً في درجة وزير أعظم". وذلك لأنه قد وصلت إليه أخبار من موسو روس باشا" سفير الدولة العثمانية في لندن، أن السير الأعزم " حسين عوني باشا " لقد تسلم نقودا من الإنجليز مقابل خدمته له لهم ضد سلطانهم.

وبناءا على هذا يقول:" قررت إنشاء جهاز مخابرات يرتبط بشخصي مباشرة" [2].

2-في الميدان الثقافي العلمي والديني:

عمل السلطان عبد الحميد في هذه الميادين كالآتي:

أ-الاهتمام بالمؤسسات الدينية والعلمية:

لقد أبدى السلطان عبد الحميد الثاني اهتمامه ورعايته للمؤسسات العربية الدينية والعلمية وقصد من ذلك التودد إلى الشعوب الإسلامية، فتبرع بالأموال والهبات وقدم مبالغ مالية ضخمة لإصلاح الحرمين الشريفين، وترميم وتجميل المساجد في مكة والمدينة، وبيت المقدس[3].

[1] علي محمد محمد الصلابي، المرجع السابق، ص446.

[2] حليمي محروس، المرجع السابق، ص 446.

[3] حليمي محورس، المرجع السابق، ص333.

كما نجده اهتم بالتعليم في مختلف الميادين (التعليم العسكري، الطبي، القضائي، ..الخ) الذي رأى أنه متأثر بالفكر الغربي وعمل على توجيهه توجيهاً إسلامي ديني، حيث أمر بتدريس التاريخ الإسلامي بما فيه العثماني، وجعل مدارس الدولة تحت رقابته الشخصية، ووجهها لخدمة الجامعة الإسلامية[1].

فبالنسبة للتعليم العسكري استقدم بعثات عسكرية من الدول الأوربية، وخاصة ألمانيا لتطوير القوات المسلحة وتنظيمها وتدريبها، وتفاوت انتشار المدارس العسكرية من ولاية لأخرى ونالت ولايتا بغداد والبصرة النصيب الأكبر منها الشام فكانت أوفر حظاً من غيرها من ولايات الدولة في إنشاء المدارس بها ذات التعلم النظري[2].

ومن المدارس التي أنشأها السلطان عبد الحميد نجد: المدرسة السلطانية للشؤون المالية افتتحت سنة 1878م، ومدرسة للحقوق، ومدرسة طب يقوم فيها التدريس طبقاً لأحدث الوسائل وتم ذلك في 1998، كما أنشأ مدرسة العشائر، من أجل تعليم أولاد العشائر من مختلف الولايات " حلب سوريا إلخ" وأنشأ جامعة اسطنبول وفتح أبوابها عام 1900 تضم أربع كليات، كلية العلوم الدينية، وكلية العلوم الرياضية، والعلوم الطبيعية والعلوم الدينية[3]. وكان للعرب دور كبير في ذلك إذ عمل عبد الحميد على أن يأخذوا من هذه العلوم حتى يحد من مدارس الإرساليات التبشيرية التي بدأت تتسرب إلى بلاد الشام وغيرها.

ب-دعم فكرة الجامعة الإسلامية:

لقد كان التكالب الأوربي على البلاد العربية، وضعف الدولة العثمانية في صد هذا الخطر من أحد أسباب ظهور الجامعة الإسلامية، والتي دعى إليها الكثير من الذين أرادوا

[1] علي محمد محمد الصلابي، المرجع السابق، ص465.

[2] شوقي عطا الله الجمل ومجموعة من المؤلفين، المرجع السابق، ص48.

[3] عبد العزيز محمد الشناوي، المرجع السابق، ص 1159.

الخلاص من النفوذ الأجنبي والاستبداد والطغيان الذي أظهره الحكام العثمانيين في البلاد[1].

وكان على رأسها جمال الدين الأفغاني الذي يعتبر من رواد حركة الإصلاح الديني والاجتماعي نشأ في بيت شريف ذو علم ودين، استزاد علما من مدارس كابل القديمة في علوم اللغة العربية والتاريخ والعلوم الدينية، وأيضاً علوم الطب والفنون الرياضية والفلسفية على يد علمائها، زار عدة بلدان منها أفغانستان، الهند، فارس، الحجاز، مصر، تركيا قام بعدة أعمال إدارية وسياسية، وذلك لارتباطه بالخديوي إسماعيل بمصر وحكام الدولة العثمانية وعلى رأسهم السلطان عبد الحميد الثاني[2].

وفي كل مكان كان يكرس جهوده لنشر أفكاره والعمل على تبصير المسلمين بما وصلوا إليه من الضعف، حتى أصبحت بلادهم نهباً للاستعمار[3] تبنى الدعوة لفكرة قيام الجامعة الإسلامية التي ظهرت في الوقت الذي وصل فيه السلطان عبد الحميد الثاني إلى السلطة.

ونجد أن السلطان عبد الحميد أيد جمال الدين الأفغاني في الدعوة إلى قيام الجامعة الإسلامية، لكنه ليس من أجل اعتناق أراء جمال الدين، الذي ركز على الوحدة الإسلامية بين جميع المسلمين، وعدم التفريق بين السياسة والدين، والتوفيق بين الدين والعلم والتصدي للمفكرين الغربيين، ومحاربة استبداد الحكام، أما السلطان عبد الحميد نجده حاول بصفته سلطاناً وخليفة أن يقوي سلطته الزمنية مستندا إلى فكرة الجامعة الإسلامية[4].

---

[1] محمد حسن العيدروس، المرجع السابق، ص302.

[2] رأفت الشيخ، المرجع السابق، ص244.

[3] حليمي محروس، المرجع السابق، ص331.

[4] جلال يحي، المرجع السابق، ص210.

تبنى السلطان عبد الحميد الثاني فكرة الجامعة الإسلامية لدعم وتعزيز مركزه، وإنقاذ دولته من التفكك، ودعا الأفغاني إلى الأستانة وقربه إليه والتقت أرائه مع آراءه الأفغاني في ضرورة الوحدة الإسلامية، لكنهما اختلافاً في موضوع الخلافة، من يكون الخليفة وكيف ؟ [1].

فكان السلطان عبد الحميد الثاني يهدف من سياسته الدينية لدعم وتعزيز ملكه وحكمه المطلق في الداخل، لمواجهة الحركات الدستورية التي كانت تدعو إلى تقيد سلطانه، فيصبح ظل الله في الأرض" على نحو ما كان يردده دعاته عنه، وبذلك لا يستطيع أحد أن يناقشه الحساب في الداخل [2].

وقصد أيضاً السلطان عبد الحميد الثاني من دعوته لفكرة الجامعة الإسلامية الاحتماء بعطف العالم الإسلامي في وجه التعصب الأوربي، المطبق عليه من كل جانب والتصدي له بتوحيد المسلمين واكتسابهم لصفة، وتدعيم سلطته العثمانية واعتبارها دولة الخلافة التي تحمي الإسلام والمسلمين[3].

وكان السلطان عبد الحميد الثاني يبعث برسله إلى البلاد العربية لمحاولة إقناع العرب، أن الجامعة الإسلامية تحت زعامة الخلافة العثمانية هي املهم الوحيد، للنجاة من الاستعمار الأوربي[4].

واستطاع السلطان ان يكسب تأييدا دينياً واسعاً، ففاز بتأييد شريف مكة أيضاً وتأييد جمال الدين الأفغاني، لكنه عندما اكتشف نواياه تخلى عنه كما تخلى عنه الكثير، لاستعماله الجامعة الإسلامية أداة لتشديد وتقوية مركزه في الحكم.

---

[1] محمد حسن العيد روس، المرجع السابق، ص309.

[2] حليمي محروس، المرجع السابق، ص331.

[3] منذر معاليقي، المرجع السابق، ص2016.

[4] منذر معاليقي، المرجع نفسه، ص216.

3-في الميدان الاقتصادي:

عند ارتقاء السلطان عبد الحميد العرش واجهته مشاكل اقتصادية جمة منها:

الأزمة المالية: فكانت الدولة في حالة تشرف على الإفلاس، فواجهها بتأسيس مؤسسة الديون العمومية في 20 ديسمبر 1881[1].

حيث بلغت الديون الخارجية 252 مليون قطعة ذهبية، واستطاع السلطان عبد الحميد الثاني من إقناع الدول الدائنة إنجلترا، وفرنسا بتأسيس مؤسسة الديون العمومية وإسقاط 146 مليون وتسديد 106 مليون ليرة ذهبية الباقية[2].

ونظم عملية تسديد الديون، وقام برهن معظم المنافع العامة للدولة وضعها تحت تصرف مؤسسة الديون العمومية، وكانت هذه المؤسسة وزارة مالية ثانية.

ولقد تمكن بهذه الوسيلة من تسديد الديون الخارجية للدولة، حيث سدد أكثر من نصف الدين للدولة وكان حريصاً على عدم الاستدانة من الخارج فلم يقترض في عهده من الخارج إلا القليل، وهذا ما يعتبر نجاحاً مالياً حققه السلطان عبد الحميد الثاني في عهده للدولة العثمانية[3].

وللنهوض باقتصاد البلاد أولى السلطان عبد الحميد الثاني اهتماماً كبيرا بمشاريع السكك الحديدية خاصة مشروع سكة حديد بغداد الذي اقترحه عليه الدولة الألمانية في إطار سياسة التقارب التي حصلت بينهما وذلك بعد أن تخلت بريطانيا عن سياستها التقليدية اتجاه الدولة ودخلت في إطار التنافس مع بقية الدول الأوربية على ممتلكات الرجل المريض .

---

[1] يلمازاوزتونان تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سلمان،ط1، المجلد الثاني، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل تركيا، 1990م، ص127.

[2] جلال يحي، المرجع السابق، ص209.

[3] يلمازا وزتونا، المرجع نفسه، ص209.

فظهرت الدولة الألمانية كقوة عظيمة على الساحة الدولية، ورأت في الدولة العثمانية حلاً لمشاكلها خاصة الاقتصادية، وسوق ضخمة لتسويق منتوجاتها التي هي مستمرة، خاصة المنتوجات الصناعية والحربية[1].

فتطورت العلاقة بين الطرفين إلى درجة أن أرسلت الدولة العثمانية ضابطها للتحصيل العسكري في ألمانيا، وقيام القيصر الألماني " وليام الثاني " بزيادة إلى السلطان عبد الحميد وعرض ليه إقامة مشاريع اقتصادية بين الطرفينن وأوضح له ما ستجنيه الدولة العثمانية من ازدهار في اقتصادها من جراء ذلك[2].

ومن بين هذه المشاريع مشروع سكة حديد بغداد فرحب السلطان به، وبالمساعدات الألمانية المقترحة عليه ومن ثم منحه البنك الألماني امتياز إنشاء هذا المشروع.

وكان يمتد هذا الخط (سكة حديد بغداد)، من قونيه في الأناضول ويمر بحلب، والموصل فبغداد، والبصرة وينتهي عند الكويت، ويمتد فرع آخر منه من حلب حتى الإسكندرية وكان صاحب هذا المشروع المهندس " ألفون بروسل "[3] .

وعندما رأى السلطان عبد الحميد ما يجلبه هذا المشروع من مصالح له وللدولة قبل به، ونشر الدعاية له بين المسلمين، وعن مدى حرصه على خدمة الحرمين وتسهيل الحج لكل من أراد ذلك وهذا ما آثار حماسة دينية كبيرة بين المسلمين فاكتسب عطفهم وبدئوا بالتبرع له حتى غطت نفقاتهم أكثر من ثلث نفقات المشروع[4].

[1] الهاشمي عبد المنعم، الخلافة العثمانية، ط1، دار بن حزم، بيروت، لبنان، 2004م،ص 504.

[2] عبد العزيز عمر عمر، المرجع السابق، ص312.

[3] حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص312.

[4] حلمي محروس إسماعيل، المرجع نفسه، ص335.

كما هدف من هذا المشروع أيضاً تسهيل نقل القوات العسكرية عن طريق هذا الخط إلى الجزيرة العربية وخاصة إلى الحجاز والتغلب على صعوبة المواصلات التي كانت تضعف إخضاع تلك الولايات المتمردة هناك عن سلطة الدولة العثمانية.

وأيضاً أنشأ هذا الخط الحديد لخدمة الحجاج، وتسهل وصولهم إلى مكة والمدينة بعد ان كانوا يستغرقون مدة طويلة للوصول إليهما، فهذا الخط سهل عليهم قطع الطريق إلى الحج في مدة قصيرة.

كما هدف هذا الخط أيضاً إلى ربط أجزاء الدولة المختلفة ويقوي قبضتها على الدول التي بدأ الوعي القومي يستيقظ مثل سوريا، العراق، الحجاز، ويتمكن من السيطرة عليها عسكريا.

وأيضاً الاستفادة من الخبرات ورؤوس الأموال الألمانية وتنفيذ إصلاحات ملموسة يؤكد بها للدول الأوربية أن الدولة العثمانية دخلت فعلاً عصر الإصلاحات، والمشروعات الإنتاجية[1].

وكان هذا الخط يصل بين دمشق والمدينة المنورة، وكان من المقرر أن يصل إلى مكة لكن الحسين بن علي شريف مكة، خشي على سلطانه من الدولة العثمانية فهب إلى عرقلة هذا الخط حتى لا يصل إلى مكة[2].

لقد اعتبر السلطان عبد الحميد هذا الخط من بين الوسائل التي تعذر بها لإعلاء شأن الخلافة، ونشر أفكار الجامعة الإسلامية، وزيادة قبضته الحديدية في بسط نفوذه على كل أمور الحكم لوحده .

[1] عبد المنعم الهاشمي، المرجع السابق، ص506.

[2] حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص ص335 –336.

خلاصة الفصل الثاني:

لقد عمل السلطان عبد الحميد الثاني على المحافظة على سلطانه في البلاد العربية، لذلك انتهج سياسة خاصة، جعلته يستمر في الحكم لفترة طويلة وتمكن من حماية العالم العربي من كل ما من شأنه أن يؤدي به إلى الفرقة والشتات، وما يبعده عن جوهر الدين الإسلامي، فتمكن بذلك من المحافظة على الترابط بين البلاد العربية والدولة العثمانية إلى حين.

الفصل الثالث: ردود فعل سياسة السلطان عبد الحميد الثاني في البلاد العربية

المبحث الأول: الحركات المناوئة لسياسة السلطان عبد الحميد الثاني

المبحث الثاني: أنصار سياسة السلطان عبد الحميد الثاني

المبحث الثالث:أوضاع البلاد العربية بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني

تمهيد:

إن السياسة التي انتهجها السلطان عبد الحميد الثاني منذ وصوله إلى السلطة في 1876م في الدولة العثمانية بصفة عامة والبلاد العربية بصفة خاصة أدت إلى استياء الكثيرين منه، فظهرت الحركة القومية العربية التي عبرت عن نفسها من خلال الجمعيات سواء السرية أو العلنية وتطور الأمر فظهرت جمعية الاتحاد والترقي التي عملت على خلعه، ولكن هناك من ناصره في سياسته وعملوا على إبقائه في السلطة .

المبحث الأول: الحركات المناوئة لسياسة السلطان عبد الحميد الثاني

ظهرت العديد من الحركات تمثلت في:

1-جمعية بيروت السرية: ظهرت بتطور الحركة القومية من طور العمل الأدبي والعلمي إلى العمل السياسي، تأسست في عام 1875م، على يد خمسة شبان من خريجي الكلية البروتستانتينية السرية في بيروت[1].

ولقد اتخذ هؤلاء من بيروت مركزا لنشاطهم اقتصر عملهم في البداية على الاجتماعات السرية، ثم وسعوا من دائرة نشاطهم بالنزول إلى ميدان الدعاية عن طريق إعداد منشورات سرية وإلصاقها على الحوائط[2].

وكانت هذه المنشورات تندد بمساوئ الأتراك، ودعت إلى القضاء على حكمهم وعزمت على تنفيذه بحد السيف إذا لزم الأمر، ولقد طالبت هذه الجمعية بمنح الاستقلال لسوريا متحدة مع لبنان والاعتراف باللغة العربية كلغة رسمية[3].

وجاءت هذه المطالب كرد فعل على السياسة المركزية التي اتبعتها الدولة العثمانية منذ 1874، حيث فرضت استخدام اللغة التركية كاملة للتعامل الرسمي مع الإدارات العربية، ولم يكن من السهل على العرب التعامل بها في مختلف الإدارات، كما أنها تتعارض مع نشاط التعليم الذي اعتمدته الإرساليات الأجنبية وهي اللغة العربية.

وفي هذا المطلب تظهر أفكار ناصف اليازجي لإعلاء شأن اللغة العربية وبطرس البستاني في حملته على الجهل.

---

[1] شوقي عطا الله الجمل ومجموعة مؤلفين، المرجع السابق، ص51.

[2] جلالي حينن المرجع السابق، ص424.

[3] عبد العزيز عمر عمر، المرجع السابق، ص219.

وهذه الجمعية بعد أن اشتد الكبت البوليسي عليها، اضطرت غلى تصفية نشاطها بسوريا وهاجر أكبر أعضائها إلى مصر لم تنجح جمعية بيروت السرية في تحقيق أهدافها، لكنها لعبت دورا كبيرا في الحركة القومية العربية، إذ عملت على زيادة الوعي القومي في الأوساط العربية[1].

وانتهت هذه الجمعية ما بين سنتي 1882-1883م، ذلك لأنه لم يكن في ذلك الوقت قد تكون ما يسمى باليقضة العربية بأتم معنى الكلمة، إذ نجد أن الشعب قابل منشوراتها سلبية تامة، ولكن رغم ذلك ظلت أول بيان معروف يحمل أهدافاً سياسة.

2-أهم الشخصيات التي عارضت السلطان عبد الحميد الثاني:

وهناك الكثير من الكتاب المسلمين الذين أخذوا من أقلامهم سلاحاً ضد الحكم العثماني من بينهم نجد: عبد الحميد الزهراوي*، وعمل على مقاومة السياسة الحميدية قبل إعلان الدستور العثماني، أصدر جريدة سرية سماها " المنير " سافر إلى الاستانة فأنشأ هناك جريدة معلومات التركية، فقامت السلطة الحميدية بطرده إلى دمشق توفي في عام 1916.

وبعد صدور دستور 1908 اشترك في تأسيس حزب الحرية والاعتدال " حزب الائتلاف " المناوبين لحزب الاتحاديين التركي، وعند نشوب الحرب العالمية الأولى قبض عليه من قبل السلطات العثمانية، وحكم عليه بالشنق وتم ذلك في دمشق1916.

[1] جلالي يحى، المرجع السابق، ص219.

***عبد الحميد الزهراوي:** ولد في عام 1871م، وهو صحافي وطني سوري كتب " الأمامة وشروطها " فيها أن العثمانيين ليسوا أهلا للخلافة الإسلامية، ترأس المؤتمر العربي الأول في باريس عام 1913 وهو أحد من شهد العرب في ديوان عالية.

أما الشخصية الثانية فهو عبد الرحمان الكواكبي الذي لم يدع فقط إلى الانفصال عن جسم الدولة العثمانية، إنما عليها سياستها الاستبدادية، ودعا إلى الإصلاح الدستوري، خاصة بعد إيقاف العمل بدستور 1876.

أما الشخصية الثانية فهو عبد الرحمان الكواكبي الذي لم يدع فقط إلى الانفصال عن جسم الدولة العثمانية، إنما عليها سياستها الاستبدادية، ودعا إلى الإصلاح الدستوري، خاصة بعد إيقاف العمل بدستور 1876م.

وسجن الكواكبي بسبب تهجمه العلني على الاستبداد، ولما أطلق صراحه في عام 1898 ذهب إلى المنفى بمصر، ونشر من أعماله السياسية في كتابين وهما" طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد"، وأم القرى " إذا تناول في كتاب " أم القرى " مفاسد الدولة العثمانية، وانتقد إدارتها، ودعى إلى إقامة خلافة عربية، يكون مركزها مكة لا اسطنبول، وتوفي في مصر سنة 1903م[1].

أما الشخصية الثالثة التي ساهمت في القومية العربية هو نجيب عازوري كان من المسيحيين السوريين، واختار باريس مركزا لنشاطه، بعد أن وصل إليها عام 1904م، وأسس بها جمعية الوطن العربي " التي كانت تسعى لتحرير سوريا، والعراق من الحكم العثماني التركي[2].

وضع عازوزي أفكاره في كتاب نشره باللغة الفرنسية تحت عنوان " يقظة الأمة العربية " إذ كان يرى فيه أن تستقل العربية عن الأتراك لما ألحقوه بها من أضرار جسام، وتضمنت كتاباته تحليلات مفصلة عن سياسة الدولة الأوربية، ومصالحها في الشرق الأدنى[3].

1-عبد العزيز عمر عمر، المرجع السابق، ص ص 425-426.

[2] حلال يحي، المرجع السابق، ص221.

[3] عبد العزيز عمر عمر، المرجع السابق، ص427.

وهنالك تشابهات بين الكواكبي وعازوزي فكلاهما ترك العمل في خدمة الحكومة العثمانية في ظروف غير مرضية، ويعتبران أول من قاد الحركة القومية العربية، وأن كلاهما عاش في المنفى، بينما كان الكواكبي مسلماً عربياً ذا نشأة تقليدية، أما عازوزي فكان مسيحياً عربياً ذا ثقافة فرنسية[1].

3-جمعية الاتحاد والترقي:

في عام 1889 شكل جماعة من طلبة المدرسة العسكرية السلطانية في اسطنبول منظمة سرية تعرف باسم الاتحاد والترقي هدفها عزل السلطان عبد الحميد الثاني وإعادة الحياة الدستورية في الدولة[2].

انتشرت أفكارها بين طلاب المدارس العليا بالعاصمة، وبين الأتراك المنفيين في باريس وجنيف والقاهرة من بينهم: " احمد رضا ".

وأيضاً ساندها خليل غانم وهو مسيحي عربي من بيروت الذي كان نائباً في مجلس المبعوثان، ولقد أنشأ جريدة في فرنسا سماها " تركيا الفتاة " [3].

أما الشخصية الثالثة التي ساهمت في دعم جمعية الاتحاد والترقي في المهجر هو مراد بك* ".

---

[1] عبد العزيز عمر عمر، المرجع السابق، ص563.

[2] الهاشم عبد المنعم، المرجع السابق، ص563.

***أحمد رضا:** ولد في 1859 وتوفي في 1930 كان يشتغل وظيفة مدير التعليم ببروسة أصدر في المجر جريدة سماها جريدة " المنشورة ".

* **مراد بك:** كان مدرساً للتاريخ في الكلية المدنية وهرب إلى مصر التي كانت خاضعة للاحتلال البريطاني ثم غادر مصر إلى أوربا .

[3] الهاشمي عبد المنعم ، المرجع نفسه، ص564.

وفي عام 1896 ظهرت مؤامرة لخلع السلطان من طرف أعضاء الجمعية، لكن السلطان علم بهذه المؤامرة، فقام بتصفية تامة لأفراد الجمعية في المدارس العسكرية، فنفى الكثير من أعضائها ولذلك هرب قسم منهم إلى باريس، وبعد فشل هذا الانقلاب تمركز عمل الجمعية تماما في باريس، خاصة بعد أن غادر مراد بك مصر إلى أوربا في 1896م، ونافس أحمد رضا على زعامة الجمعية في المهجر حتى أصبح زعيماً لفرع من الجمعية هناك.

ولقد عمل عبد الحميد الثاني على عرقلة نشاط الجمعية في أوربا، ونجح في استقطاب مراد بك بالتخلي عن النشاط الثوري هناك ضده والعودة إلى اسطنبول .

في ديسمبر 1899 بينما كانت حركة تركيا الفتاة في أوربا وتركيا تعاني من الضعف دبت الحياة فيها مرة أخرى فجأة، عندما هرب الوزير محمود جلال الدين باشا (1853-1903)صهر السلطان عبد الحميد مع ولديه الأمير صباح الدين والأمير لطف الله من اسطنبول إلى فرنسا .

فكان ذلك ضربة قوية موجهة للسلطان عبد الحميد الثاني، وازدياد نفوذ حركة تركيا الفتاة وحدث انشقاق بين أعضاء الحركة، بظهور مناوئ لزعامة أحمد رضا، وهو الأمير صباح الدين (1877-1948) وبقي هذا الانقسام حتى قيام ثورة 1908م[1] .

وفي 4 فيفري 1902 اجتمع أعضاء جمعية الاتحاد والترقي، وعقدوا مؤتمر في باريس اظهر هذا المؤتمر بصورة واضحة الانشقاق الكبير الذي حصل بين جناحي الحركة حول الزعامة، فالقسم الأول بزعامة أحمد رضا، الذين طالبوا بإنشاء أمة عثمانية تجمع مجموعات عنصرية ودينية، ولغوية مختلفة حول أسرة آل عثمان[2].

[1] عبد العزيز عمر عمر، مرجع سبق ذكرهن ص288.

[2] عبد العزيز عمر، المرجع نفسه، ص229.

أما القسم الثاني فكان بزعامة الأمير صباح الدين، الذي كان شاباً عمره خمسة وعشرون سنة سقط في أحضان إنجلترا فصار أكبر ممزق للإمبراطورية بسياسة الاستقلال أي اللامركزية أي إنشاء دولة فيدرالية تحت سلطة دستورية، وعمل على إنشاء جمعية جديدة في باريس باسم " عصبة الإدارة اللامركزية " [1].

لقد تمكنت الجمعية من ضم إليها ضباط مصطفى أتاتورك الذي كون في عام 1906، جمعية سرية باسم " الوطن " في دمشق ثم غيرها إلى سالونيكا باسم " الوطن والحرية "، أيضاً الضابط أحمد نياظي بك في دمشق ثم غير مقرها إلى سالونيكا باسم " الوطن والحرية"، أيضاً الضابط أحمد نياظي بك قائد حصن رسنة، مع الضابط أنوربك تمكن هؤلاء من كسب الأهالي ضد السلطان[2].

أ-ثورة 1908 وإعادة الدستور:

قرر الاتحاديين التحرك ضد عبد الحميد الثاني فتمرد الجيش المتمركز في سالونيك ، بقيادة نياظي واجتمع الناس حوله فاستقبل زعماء الاتحاد هذا الحشد وخطبوا فيه، كما انعم إليهم انور بك ومصطفى كمال، وغيرهم واحتلوا مونستيد، حيث يوجد مقر قيادة الجيش الأول، فلم يستطع السلطان مواجهتهم فرضخ لهم وأعاد العمل بالدستور وذلك في 24 جويلية 1908 وأطلق على هذا التمرد بالانقلاب الدستوري[3].

وقابل العرب الدستور الجديد بحماس شديد وافتتحوا سكة حديد الحجاز وأعادوا الشريف حسين أميرا على مكة بعد أن قضي ستة عشر عاماً شبه معتقل في الاستانة وأسس العرب مع الترك جمعية الآخاء العربي العثماني بهدف حماية الدستور وتوحيد

[1] يلمازا تونا، المصدر السابق، ص172.

[2] عز تلو يوسف بك أصاف، المرجع السابق، ص 132.

[3] الهاشمي عبد المنعم، المرجع السابق، ص565.

جميع الأجناس في ولائها للسلطان وضمان المساواة بين العرب والعناصر الأخرى المقيمة في الدولة[1].

ولكن الأتراك ما إن أعلن عن الدستور حتى سيطروا على إدارة الدولة متبعين في ذلك سياسة التتريك فقاموا:" بتعطيل جمعية الإخاء العربي العثماني " تحت حجة أنها نساند العرب وأن أعضاءها هم أعوان السلطان عبد الحميد الثاني[2].

ثم قام الأتراك بتكوين جمعيات منها " جمعية المنتدى التركي" التي دعوا فيها إلى تنقية اللغة التركية من الكلمات العربية، والفارسية، وجمعية الوطن التركي" التي دعت لى تجميع الأتراك من حدود الصين إلى البلقان[3].

رد الفعل العربي:

في البداية وضع العرب ثقتهم في حكومة الاتحاديين ووقف الزعماء العرب موقف التأييد من الاتحاديين وأسهموا في مقاومة استبداد السلطان الحميد من بينهم نذكر رفيق العظم، وياسين الهاشم، وعزيز علي المصري، وخليل غانم الذي أصدر جريدة " الهلال" في بيروت إذ تميزت العلاقة بين الطرفين بالوفاق فيما بين 1908 حتى 1909م ثم فترت بسبب سياسة الأتراك .

فكانت خيبة أمل العرب كبيرة في جمعية الاتحاد والترقي التي كانت سببا في تحولهم عنها فأقدموا على خطوات لمعارضتها، والتصدي لكل خطوة يقوم بها الأتراك تتعرضهم لمستقبل العرب، وكيانهم.

[1] شوقي عطا الله الجمل ومجموعة مؤلفين، المرجع السابق، ص54.

[2] شوقي عطاء الله الجمل ومجموعة مؤلفين، المرجع نفسه، ص54.

[3] عبد العزيز نوار، تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث، (د.ط)، دار الفكر العربي، 1998، ص127.

ولذلك عمل العرب على تأسيس الجمعيات القومية في بلاد الشام والاستانة وفي القاهرة وفي بارس منها نذكر جمعية المنتدى التركي تأسست في عام 1909ترأسها عبد الكريم خليل، كان مقرها بالاستانة وهدفه إلى بلورة الأفكار العربية، وإعلاء شأن الثقافة العربية[1].

المبحث الثاني: أنصار سياسة السلطان عبد الحميد الثاني

إلى جانب من عارض السلطان عبد الحميد الثاني هناك من أيده حيث ظهرت شخصيات من العرب والمسلمين ككل من ناصر السلطان ووقفوا إلى جانب فكرة المحافظة على العلاقة بين البلاد العربية والدولة العثمانية .

1-جمال الدين الأفغاني:

أيد جمال الدين الأفغاني دعوة السلطان عبد الحميد إلى الجامعة الإسلامية وقدم مشروعات أكبر بكثير من طموح السلطان، ولم يكن السلطان يأمل في أكثر من حدة بين الشعوب الإسلامية، ووحدة حركة بينهما، وهي وحدة شعورية عملية، وفي نفس الوقت تكون الخلافة فيها ذات هيبة وقوة لكن الأفغاني عرض على السلطان مشروعاً، يرمي غلى توحيد أهل السنة مع الشيعة[2].

وكان رأي جمال الدين الأفغاني في السلطان عبد الحميد، قال فيه:" إن السلطان عبد الحميد لو وزن مع أربعة من نوابغ رجال العصر لرجحهم ذكاء ودهاء وسياسة، خصوصاً في تسخير جليسه، ولا عجب إذا رأيناه بذلك ما يقام لملكه من الصعاب من دول الغرب، ويخرج المناوئ له من حضرته راضياً عنه وعن سيرته وسير مقتنعاً بحجة سواء من ذلك الملك والأمير والوزير.."

[1] شوقي عطا الله الجمل ومجموعة مؤلفين المرجع السابق، ص54.

[2] علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص550.

وقال أيضاً :" أما ما رأيناه من يقظة السلطان ورشده وحذره وإعداده العدة اللازمة لإبطال مكائد اوربا وحسن نواياه واستعداده للنهوض بالدولة الذي فيه نهضة المسلمين عموماً، فقد قضى إلى مد يدي له فبايعته بالخلافة والملك، عالماً علم اليقين، أن المماليك الإسلامية في الشرق لا تسلم من شراك أوربا، ولا من السعي وراء إضعافنا وتجزئتها، وفي الأخير ازدرائه واحدة بعد أخرى، إلا بيقظة وانتباه عمومي وانطواء تحت راية الخليفة الأعظم...[1].

11-أبو الهدي الصيادي:

كان أبو الهدى الصيادي* أهم شخصية في حياة السلطان عبد الحميد، فقد ارتبط اسمه به، ذلك الرجل الذي انتقل من حلب إلى الاستانة واستطاع أن يستميل السلطان عبد الحميد ويلازمه كالظل طوال فترة حكمه، كان أبو الهدى الصيادي أشبه " براسبوتين " الذي سيطر على القيصر الروسي نيكولا الثاني وحاشيته، اتصل الصيادي بالسلطان عبد الحميد الثاني فقلده مشيخة المشايخ وحظي عنده مكان من كبار ثقافة، استمر في خدمته زهاء ثلاثين سنة وكان له الكلمة العليا عند عبد الحميد فينصب القضاة .

لم يستطع السلطان عبد الحميد الثاني الاستغناء عن الصيادي ولازمه حتى ساعة خلعه عن العرش بعد ثورة سنة 1908 حيث نفي أبو الهدى إلى جزيرة (براكيبو) في سالونيك اليونانية ومات فيها في العالم التالي.

وكان الصيادي يحسن للعرب الذين كانوا مهمشين في ظل الدولة العثمانية التي تتعصب للأتراك ومن أبرز أعماله رحمه الله، إنه كان من أعظم المناصرين للعرب كافة، وما قصده أحد من أبناء البلاد العربية إلا آزره ولبى حاجته اتسمت علاقته مع جمال الدين

[1] علي محمد محمد الصلابي، المرجع السابق، ص553.

***أبو الهدى الصيادي**: (1849-1909): ولد في حماه بسوريا، من أسرة شريفة حسنة تولى ولاية خان شيخون منذ 1285، وظل عليها حتى أخر حياته، مؤلفات عدة منها: تنوير الأنصار في طبقات السادة الرفاعية، الأخبار، ونفحة الرحمان في تفسير القرآن.

الأفغاني في بادئ الأمر بالود، لكنها انقلبت إلى عداوة سافرة ومرد ذلك سعي البعض للنميمة بينها .

1-محمد فريد بك*:

نجد أيضا ممن ناصروا السلطان عبد الحميد الثاني، والدولة العثمانية " محمد فريد بك المحامي " * الذي يقول في كتابه :" الدولة العليا العثمانية طبع في 1893ثم أعيد عام 1896 ثم عاد 1912، يقول:" إن الملك العثماني لم شمل الولايات الإسلامية، وأن التعصب الديني في المماليك الأوربية قد قام لتفتيت الإسلام والمدافعة عن حرية الشعوب الشرق والرائد عن حياته"

الرافعي:* إن سياسة محمد الإسلامية هي سياسة مصطفى كامل[1]فقد عمل على توثيق التعاون والتضامن بين الأمم الإسلامية وكان يدعوا إلى هذه الغاية في مقالاته وخطبه وأحاديثه، كما حرص توثيق الصلة بين مصر وتركيا، لكي يحبط المساعي الإنجليزية التي كانت ترمي إلى حمل الحكومة التركية بمختلف الوسائل على الاعتراف بمركز الاحتلال البريطاني في مصر " .

كما ظهر شكيب أرسلان: الذي كان من اكبر الدعاة إلى الوحدة العربية حماساً وأشدهم إيماناً بأهميتها وضرورتها لمواجهة الهجمة الاستعمارية الشرسة على العالم العربي والإسلامي وللخروج بالأمة العربية من حالة التفكك والتشرذم والضياع التي أرادها المستعمر الدخيل حتى يسهل له السيطرة على أهلها والاستيلاء على خيراتها ومقدراتها .

* **الرافعي**: (1880-1937) من مصر، أصيب في صغره بمرض أفقده بصره، عمل محكمة عام 1899، ثم انتقل إلى طنطا، ثم إلى المحكمة الأهلية ألف كتاب تاريخ أداب العرب عام 1909.

***محمد فريد بك**، (1888-1956)، ولد ونشأ بالإسكندرية، عمل بديوان الأوقاف بالقاهرة من أهم مؤلفاتهن المدينة والسلام، دائرة معارف القرن العشرين.

وتأثر شكيب أرسلان بعدد كبير من أعلام عصره مثل:" الشيخ محمد عبدو ومحمود سامي البارودي* كما اتصل بجمال الدين الأفغاني إذ تأثر به تأثرا كبيرا واقتدي به في منهجه الفكري وحياته السياسية[1].

وكذلك تأثر بعدد كبير من المفكرين والعلماء مثل:" أحمد فارس الشدياق، الذي كان شديد الحماس والتأييد للخلافة الإسلامية والدولة العثمانية وقد اهتم شكيب أرسلان بقضية الوحدة عناية شديد، وأولاها كل اهتمامه، ووقف عليها حياته كلها، وكانت مقالاته دعوة متجردة غلى قيام تلك الوحدة الكبرى التي كان يرى فيها الخلاص من حالة الضعف والاستكانة التي سادت الأقطار العربية وجعلتهم فريسة المستعمر الأجنبي .

4-رشيد رضا*:

كان أيضاً من أيد السلطان من ناحية المحافظة على إبقاء البلاد العربية قريبة من الدولة العثمانية، فبعد إسقاطه من الخلافة ظهر تيار ممن تأكدوا بأن سياسة السلطان كانت أحسن وأرحم من سياسة تركيا الفتاة وكان منهم حزب اللامركزية الذي أسسه العرب في عام 1909 والذي يعني أن تأخذ الولايات غير العثمانية استقلالا ذاتياً، وتبقى خاضعة لاسطنبول وكان من أهم أعضاء الحزب رشيد رضا*الذي رأى أن نفور العرب من الترك مفسدة من أضر المفاسد وأن من يسعى بيننا وبينهم فهو عدو لنا .

وعندما قام الاتحاديون الأتراك بالثورة على السلطان عبد الحميد عام 1908 وأجبروه على إعلان الدستور، كان رشيد رضا مثل غيره من الزعماء والمفكرين العرب ممن هللوا للانقلاب اعتقادا منهم بأن إعلان الدستور هو بمثابة إطلالة عهد جديد تسوده الحرية،

* **رشيد رضا*: (1865-1935)** مصلح ديني، سياسي واجتماعي، بغدادي الأصل، من أعمال طرابلس بلبنان، اتصل بجمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده أنشأ صحيفة المنار، ثم العروة الوثقى .

***محمود سامي البارودي:** شاعر مصري ولد عام 1839 بالقاهرة درس علوم الدين واللغة والحساب والجبر ودرس فنون الحرب، عمل بوزارة الخارجية، نفي على يد السلطات، الحاكمة مع زعماء الثورة العراقية عام 1882، توفي عام 1904.

غير أنه لم يلبث في العام التالي ان أصيب بخيبة أمل شديدة في الاتحاديين على إثر زيارته إلى القسطنطينية ولما تأكد من الاتحاديين ماضون في سياستهم.

أخذ يكشف أوراقهم، ويبين خطر سياستهم لا على فلسطين بل على الأمة الإسلامية كلها، فتناول كيفية تواطئ الاتحاديين مع الصهاينة لبيعهم أراضي السلطان عبد الحميد، ومساعدتهم في الاستيلاء على فلسطين، ووصف جمعيتهم بأنها جمعية الأحمرين (الذهب والدم) وقال:" أما كونها جمعية دم وثورة فهو صنعتها الرسمية، وأما كونها جمعية ذهب فلا يخفى على أحد أنهم نهبوا أموال السلطان عبد الحميد الواسعة، وعلى تمهيد الأسباب لامتلاك البلاد المقدسة، وإقامة ملك لإسرائيل فيها"

ودعا إلى وحدة المسلمين، والدفاع عن الإسلام والشريعة،و تصحيح عقائد المسلمين، وجمع بين العمل في ميدان الفكر الإسلامي، والإصلاح السياسي[1].

وبالإضافة إلى حزب اللامركزية ظهرت الجمعية القحطانية في أواخر عام 1909 كان نشاطها من العسكريين والمدنيين، ومن أبرز أعضائها عزيز علي المصري*وسليم الجزائري*، والتي دعت إلى تكوين مملكة عربية مستقلة تتخذ اللغة العربية لغة رسمية لها وترتبط بالدولة العثمانية ارتباطاً فيديراليا مثل دولة النمسا –المجر[2].

[1] شوقي عطا الله الجمل ومجموعة مؤلفين، مرجع سبق ذكره، ص55، 56.

***عزيز علي المصري، (1880-1964)**، عسكري سياسي، من أسرة عربية سكنت العراق وانتقلت إلى مصرن والتحق بالكلية العسكرية في الاستانة، انصم إلى جمعية الاتحاد والترقي وشارك في الانقلاب العسكري عام 1908، ترك الاتحاد والترقي بعدما تبين له معاداتها للعرب.

***سليم الجزائري:** ولد عام 1879 بدمشق، نشأ في بيت تقوى، درس القرآن الكريم والإملاء ومبادئ العلوم، تخرج ضابطاً من المدرسة الحربية كضابط من أركان الحرب، تفانى في خدمة الدولة العثمانية، بعد الانقلاب العثماني عام 1908، اعتقد أن له دورا فيه هو وزملاؤه، فتم شنقه في عام 1916.

[2] شوقي عطا الله الجمل، ومجموعة مؤلفين، المرجع السابق، ص45.

وبعد ثورة 1908 أسس العرب في الاستانة مع الترك جمعية الاتحاد العربي العثماني بهدف حماية الدستور وتوجد جميع أجناسها في ولائها للسلطان وتحسين حالة الأجزاء العربية على أساس المساواة الصحيحة بين العرب والعناصر الأخرى في الدولة العثمانية ونشر التعليم باللغة العربية، وتأسست لهذه الجمعية فروع في المدن الهامة .

المبحث الثالث:أوضاع البلاد العربية بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني

1- خلع السلطان عبد الحميد الثاني من الحكم في 1909م

بعد أن أعاد السلطان عبد الحميد الحياة الدستورية في 24 أفريل 1908 لم تستطع جمعية الاتحاد والترقي من عزله لأنه لم تكن لها القوة الكافية لذلك بالإضافة إلى إتباع عبد الحميد سياسة المرونة معهم وذلك في تنفيذ رغباتهم وإعادة الدستور، زيادة على ذلك ولاء العثمانيين له.

ورغم أن السلطان كان يمثل السلطة فقط في عام 1908ن وليست له علاقة بالحكومة والجهاز التنفيذي، لكن مجرد ظله كان يخيف الاتحاد وكذلك الدول الأجنبية[1] .

ولهذا السبب لم تكتفي جمعية الاتحاد والترقي بالانقلاب الدستوري فقط بل أحدثت اضطراب كبير في العاصمة بتخطيط أوربي يهودي وهي حوادث 31 مارس 1909م، في اسطنبول الموافق لـ09 أفريل 1909 [2].

وفي 09 أفريل عقدت في سان استفانو جمعية وطنية واتخذت بناءا لاعلى فتوى من الشيخ الإسلام محمد ضياء الذي أرغم على كتابتها من طرف الانقلابيين وأصدر قرار خلع السلطان عبد الحميد الثاني ومن بعده رفع أخوه محمد رشاد الخامس إلى العرش[3].

[1] يلماز أزوتونا، المرجع السابق ، ص57.

[2] علي محمد محمد الصلابي، المرجع السابق، ص138.

[3] كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص60.

لم تكتفي جمعية الاتحاد والترقي بإعلان المشروطية الثانية بل قررت خلع السلطان عبد الحميد الثاني ومهدت لذلك، بنشر عدد من البيانات خلال عام 1908 تحرض الجنود العثمانيين على الثورة وخلع السلطان، كما عملت على عقد جلسة سرية في 5 أفريل 1909 أرسلت برقية إلى المركز العام لجمعية الاتحاد والترقي تطالب من الأعضاء اليهود الحضور لعقد جلستهم، وعقد المؤتمر في ضاحية آيا استفانوس[1].

وعملت جمعية الاتحاد والترقي على إرسال برقيات إلى قصر يلدز متهمة السلطان بتدبير حادثة 31 مارس حيث حدث في اسطنبول اضطراب قتل فيه بعض عسكر جمعية الاتحاد والترقي[2].

وقد اختلف في أصل مدبر هذه الحادثة فالبعض يقول أن الحادثة من تدبير السلطان من اجل التخلص من جمعية الاتحاد والترقي بعد أن اجبر على إعادة الدستور والبعض الأخر يرى أنها من تدبير جمعية الاتحاد والترقي ليتخذو منها ذريعة لخلع السلطان وقد شهد بعض من معاصري هذه الحقبة أمثال طوران ورضا أنور أن السلطان عبد الحميد بريء من هذه التهم مؤكدين أن جمعية الاتحاد والترقي سبب هذه الحادثة[3]، وعلى العموم فقد زحفت قوات الجيش المرابط في ولاية سالونيك على الأستانة للقضاء على التمرد والاضطرابات، وأحاطت هذه القوات بالقصر السلطاني[4] ولمعلم السلطان عبد الحميد بعصيان جيش سالونيك وتقدم نحو العاصمة أمر القوي في القصر بعدم إطلاق النار فخلع السلطان بفتوى من شيخ الإسلام محمد ضياء الدين أفندي في 24 أفريل 1909م وأوفدوا هيئة مكونة من عارف حكمت باشا رئيس الوفد وعظوية كل من أسعد

[1] حسان الحلاق، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897-1909، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1999، ص316.

[2] محمد زكي ملا حسين الدرواري، الكورد والدولة العثمانية، دار الزمان، دمشق، 2009، ص442.

[3] محمد علي الأحمد، سقوط الخلافة عرب بلاد الشام والدولة العثمانية، دار الإسراء، عمان، الأردن، 2006، ص349.

[4] محمد زكي ملا حسين الدروراي، المرجع السابق، ص442.

طو تباني باشا، وغالب باشا وآرام أفندي وقارصوه ووصلوا إلى يلدز لإبلاغ السلطان نبأ الخلع ونقل السلطان في 27 أفريل 1909 [1] إلى سالونيك وسجن في فيلا هناك، ثم عهد في حراسته إلى فتح المقدوني حتى توفي في 1918م[2].

2-ظهور اليقظة القومية العربية:

منح الدستور العثماني للشعوب حرية التعبير والانتماء وإبداء الرأي أدى ذلك إلى قوة وحيوية الجدل العربي التركي وبهذا الحوار تكونت حركة قومية عربية ناضجة[3].

إن انقلاب السلطان عبد الحميد الثاني على التنظيمات وعلى أدواتها ورجالها كحل للبرلمان وإلغاء الدستور ووضع حد للتدخل الأجنبي دفع الإصلاحيون واغلبهم أتراك إلى تكوين جمعيات سرية تعمل على قلب نظام الحكم .

لقد ظهر تيار إصلاحي محافظ يتزعم كل من جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده في مصر الشيخ الطاهر الجزائري في سوريا، إلى جانب هذا التيار الإصلاحي والمحافظ ظهر تيار آخر يتكون من المثقفين العلمانيين، انعزلوا تقريبا عن الماضي ورفضوا الواقع القائم انبثق عن هذا التيار عدة مدارس أهمها مدرستان:

-**الأولى:** أغلب أعضاؤها من أبناء الطوائف المسيحية، تأثروا بالحضارة الغربية .

-**الثانية:** أعضاؤها على العموم من المسلمين الذين درسوا في مدارس الغرب أرادت الاقتباس من هذا الغرب قدر الإمكان ولكن مع الحفاظ على الهوية الذاتية فحدث خلاف بين هاتين المدرستين في نهاية القرن التاسع عشر إلا أنها نسيت خلافاتها عشية الحرب

[1] حسان الحلاق، موقف الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص318.

[2] هـ.س.أرمسترونج، الذئب الأغبر مصطفى كمال، دار الهلال، القاهرة، 1952، ص36.

[3] تاج السر أحمد مروان، حاضر العال الإسلامي، إشبيليا ، د.ب ، ص622.

العالمية الأولى فأسس أعضاؤها جمعيات سياسية سرية التي تشكلت حول شعارات وطنية[1].

العوامل التي أدت إلى تطور الوعي القومي العربي:

سياسة التتريك إلى ظهور تيارين مختلفين حيث دعا التيار الأول إلى التعاون مع الأتراك ضمن الدولة العثمانية في إطار المساواة القومية يمثل هذا التيار جمعية الإخاء العربي العثماني والمنتدى الأدبي، ولذلك عمل رشيد رضا أثناء تواجده بالأستانة على إزالة سوء التفاهم العربي العثماني وإحباط مشاريع التفرقة بينهما، بينما دعا التيار الثاني إلى اللامركزية العربية ردا على المركزية التركية ثم تطور إلى المطالبة بالاستقلال التام عن السلطة العثمانية وكانت بلاد الشام المركز الرئيسي له وتعتبر دمشق مركز قوته يمثل هذا التيار الجمعية القحطانية والجمعية العربية الفتاة –جمعية بيروت الإصلاحية تزامناً مع عقد المؤتمر العربي الأول باريس 1913.

الضغوطات التي مارسها الاتحاديون على الجمعيات العربية ورجالاتها العاملين داخل السلطنة أدى إلى تطور النضال القومي العربي أولها جمعية التشبث الشخصي واللامركزية التي أسسها الأمير صباح الدين، لها فروع في دمشق وبيروت وغيرها من المدن العربية يرى الأمير أنه من غير الممكن صهر شعوب تختلف عن بعضها في منحنى واحد لكنه لا يقصد باللامركزية خلق ولايات مستقلة ذات امتيازات خاصة وغنما تكون اللامركزية في الإدارة فقط[2].

–تأثر بعض المثقفين العرب بالمثقفين القومين الأتراك المتأثرين بالفكر الأوربي .

[1] إلياس شوفاني الموجز في تاريخ فلسطين السياسي منذ فجر التاريخ حتى سنة 1949 ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان، 1996، ص286.

[2] توفيق برو، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني(1908–1914)، معهد الدراسات العربية العالمية، 1960، ص 87.

-ساعدت سياسة التتريك بقدر كبير على تبلور الفكر القومي العربي وأكسبته حتى المؤيدين الإسلاميين الذين كانوا في السابق يعارضون انطلاق إيمانهم للجامعة الإسلامية[1].

-لعب الدستور دورا فعالاً في إيقاظ الحس القومي [2].

-إن سياسة جمعية تركيا الفتاة والاتحاديين عملت على هضم حقوق الشعب العربي في بلاد الشام وتسليط العنصر التركي على بقية القوميات ما دفع الأعيان والعاملين في الإدارة العثمانية إلى البحث عن الوسائل والسبل الكفيلة لتحقيق حقوقهم الاجتماعية والسياسية وهكذا شكلت هذه الفئة مع أبناءها من الشباب المثقف وبعض الموظفين العرب في الإدارة والجيش جمعيات سرية تعاونت في بعض الأحيان حتى مع قوى خارجية لإيصال أصواتها إلى الخارج.

-عدم وجود رأي شعبي لأن الطبقة الشعبية كانت لا تهتم بالنشاط السياسي .

-ظهور حركة عامة لإحياء الشعور القومي بين عرب سوريا ووصل صدى هذه الحركة إلى بيروت ولبنان[3].

3-الثورة العربية الكبرى 1916:

يعود قيام الثورة العربية التي قادها الشريف حسين* وانطلقت شراراتها إلى مكة المكرمة عاصمة مملكة الحجاز ثم ما لبث أن امتدت إلى بلاد الشام إلى عوامل عديدة تضافرت وانصهرت مع بعضها لتشكل أهم حدث في المنطقة العربية خلال القرن

[1] مفيدة محمد إبراهيم، عصر النهضة العربية بين الحقيقة والوهم، ط1، دار محبلاوي للنشر، الأردن، 1999، ص627.

[2] عبد الوهاب الكيالي، الموجز في تاريخ فلسطين الحديث، ط2، مؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1973، ص54.

[3] مفيدة محمد إبراهيم، المرجع السابق، ص 619.

العشرين فكانت بمثابة الحاسم في العلاقات العثمانية العربية إضافة إلى ما تركته تلك الثورة من أثار على المنطقة المذكورة فيما بعد وما نتج من أحداث ذات أثر كبير على العلاقات العربية العثمانية إضافة إلى ما تركته تلك الثورة من أثر كبير على العلاقات العربية العثمانية إضافة إلى ما تركته تلك الثورة من أثار على المنطقة المذكورة فيما بعد، وما تبعتها من أحداث ذات أثر كبير على العلاقات العربية العثمانية على الصدى البعيد، وكل تلك العناصر التي ذكرناها من قبل كانت بمثابة مراحل تصاعدية في توتر العلاقات العربية التي أدت نهايتها إلى اندلاع الثورة الكبرى في 1916م فيمكن اعتبارها كأسباب وممهدات لها، ولقد لخصنا أهم العوامل المؤدية لهذه الثورة في أربع عوامل منها.

أولا: تخوف الشريف حسين من السياسة المتبعة من قبل الاتحاديين اتجاه العرب واعتقاده بأن رجال الدولة قد انتزعوا الثقة ومن أولاده وأنهم يتيحون الفرصة للقبض عليه وإقصائه[1] ولا يخفى أن الغاية الأصلية للاتحاديين من إرسال وهيب باشا إلى الحجاز وتزويده بكل الوسائل لكسر شوكة الحسين والقضاء على كل ما له من نفوذ، ولقد اكتشف الشريف حسين هذه المؤامرة بعدما عثر على ابنه الأمير علي[2] على الوثائق التي كان يحملها وهيب شكري باشا قائد الجيش العثماني، التي ضاعت منه في المدينة المنورة، وكان من

[1] أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى مجلد الأول، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت، ، ص123.

***الشريف حسين:** هو الحسن بن علي بن محمد بن المعين بن عون وينتمي إلى فرق العبادلة من أشراف الحجاز ولد بالاستانة عاصمة الخلافة سنة 1854م حيث كان أبوه منفيا فيها ثم انتقل معه إلى مكة وعمره ثلاث سنوات وأخذه إلى البادية لتنشئته نشأة عربية فتثقف وحصل على العلوم، وأقام في كنف عمه الشريف عبد الله باشا أمير مكة الذي زوجه ابنته. أنظر: مذكرات محسن أبو طبيخ 1910-1960، تر: محسن أبو طبيخ، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2001م، ص20.

[2] جورج أنطونيوس، يقظة العرب: تر: نصر الدين أسد، وإحسان عباس ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1974، ص320.

ضمنها وثيقة تتحدث عن ضرورة نصب كمين للشريف حسين وعزله فكان للضرورة أن يعمل شيئاً ليقضي عليهم[1].

ثانيا: إن ما حدث في بلاد الشام من إعدام للقومين العرب اعتبر صدمة للشريف حسين لاسيما بعد أن وضع ثقله كاملاً للتوسط لهم وإخراجهم من مشانق جمال باشا دون أن يفلح مسعاه وقد ألمه ان يعدم شباب العرب ظلماً وعدواناً وأن تساق الحرائر أبناء امته كالسبايا تحت ستار النفي لا لذنب اقترفوه وإنما لأنهم طالبوا بإصلاح الدولة لذلك لو يجد حينها إلا الانتقام لهم وذلك من خلال إعلانه للثورة[2].

ثالثا: يعد العامل الديني من أهم العوامل التي ساهمت في تحريك الشريف حسين على المستوى الشخصي بشهادة معاصريه كان عارفا بالإسلام وشديد المحافظة عليه يعتقد بكفر الاتحاديين وإلحادهم لأنهم خالفوا نصوص الشريعة الإسلامية وحاربوا اللغة العربية التي تعد لغة الكتاب العزيز لذلك رأى ضرورة محاربتهم والجهاد فيهم وإنقاض الأمة من شرورهم[3].

ومن خلال ما سبق يتضح لنا بأن الشريف حسين جعل نصرة الإسلام وإعلاء كلية الحق مبدأ ثورته وغايتها .

رابعا: إن اقتصاد الحجاز كان قائما على موسم الحج، الذي يعد المورد الحيوي لإمارة مكة وما يتبعها من مناطق في الحجاز، وعند إعلان الحرب العالمية الأولى في سبتمبر 1914م وقد وافق هذا التاريخ شهر رمضان أي قبيل موسم الحج بثلاثة أشهر، وقد نتج

[1] جورج أنطونيوس، المصدر نفسه، ص320.

[2] أمين سعيد، المصدر نفسه، ص125.

[3] قدري القلعجي، الثورة العربية الكبرى 1916-1925، ط2، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت، 1994، ص190.

عن دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا قيام بريطانيا بمحاصرة سواحل الحجاز، وتعطيل موسم الحج[1]، فشعر أهل الحجاز بالضائقة وأصبحوا مهددين بخطر المجاعة ، فراح الشريف حسين يبحث عن مخرج لهذا المأزق[2] ويبدوا أن هذا الأخير وجد أن الوسيلة الوحيدة للخلاص هي مخالفة بريطانيا والاتفاق معها، لإلغاء الحصار البحري وعودة السفن والبواخر إلى زيارة الحجاز[3] وفي هذه الأجواء من النزعة الطورانية وسياسة التتريك والتنكيل بالشخصيات والضباط العرب، تبلورت الاتصالات بين المتفقين العرب والجميعات العربية والشريف حسين من أجل إعلان الثورة الكبرى على الأتراك، وقد كانت هناك اتصالات أولية بالإنجليز عندما اجتمع الأمير عبد الله باللورد كتشنر المفوض السامي بالقاهرة خلال شهر فيفري 1914م واتفقوا على استمرار الاتصالات[4] فتدارس الشريف حسين الوضع مع اولاده واستقر على رأي أن يتصل الأمير فيصل* بالزعماء القومين في دمشق ومعرفة رأيهم في عرض بريطانيا وقد أصر أبناء الشام على إعلان الحرب وتم توقيع ميثاق دمشق 1915 ورشحوا الشريف حسين بن علي زعامة الثورة حيث أن موقعه الجغرافي ومكانته التاريخية ومركزه الاجتماعي العربي والشرافة الدينية كل هذا ساهم في بلورة فكرة قيادة الثورة[5]وتم التوقيع على ميثاق دمشق، ثم استؤنفت المفاوضات على شكل مراسلات بين الشريف حسين والمعتمد البريطاني في القاهرة، السير هنري مكامهون وقد تضمنت الرسالة الأولى والتي بعث فيها الشريف إلى المعهد

[1] أمين سعيد، المصدر السابق، ص124.

[2] قدري القلعجي، المرجع السابق، ص190.

[3] أمين سعيد، المصدر السابق، ص125.

[4] كليب سعود الفواز، المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين(1908-1918)، د ط، مكتبة الإسكندرية، د.م، 1997، ص ص90-91.

***الأمير فيصل الأول:** 1855-1933) ابن الشريف حسين بن علي أمير مكة تلقى تعليمه في الاستانة وانتخب عضوا في مجلس المبعوثان العثماني لعب دورا إبان الحرب العالمية الأولى من خلال اتصالاته بالجمعيات السرية العربية من المشرق العربي كان على رأس الجيش العثماني العربي الذي دخل دمشق على إثر انسحاب الجيش العثماني أنظر: عبد الوهاب الكيالي، مرجع سابق، ج4، ص680.

[5] كليب سعود الفواز، المرجع السابق، ص90.

البريطاني نصوص بروتوكول دمشق، كأساس للتحالف بين بريطانيا والعرب ضد الأتراك بالإضافة إلى مطالبة بريطانيا بالاعتراف بالشريف حسين خليفة على المسلمين حين إعلان ذلك[1] وبعد سلسلة من المراسلات التي أجراها الشريف مع بريطانيا توصل الطرفان إلى إعلان الشريف حسين الثورة على الأتراك على أن تمده بالإمدادات لاحقاً وانطلقت الثورة من مكة صبيحة يوم السبت 10 جوان1916م وقد التحق توماس لوارنس*ضابط المخابرات البريطاني بالثورة العربية في أكتوبر 1916 وعمل كمستشار للامير فيصل الذي تولى قيادة جيوش الثورة الثلاثية حيث أن هذا الأخير بدهائه أشعل الحماس القومي وأثار العرب ضد الأتراك وثار الشريف حسين في الحجاز وأهل الشام في الشام[2] وقد بدأت الدولة العثمانية تتجرد من ولاياتها العربية الواحدة تلوى الأخرى من العراق إلى الشام وغيرها وانتهت الثورة العربية بهزيمة الأتراك وفي يوم 29 سبتمبر رفع العلم العربي من دمشق وغادرها أخر جندي تركي مساء 30 سبتمبر 1918[3] وبهذا كانت الثورة العربية مرحلة ومحطة مهمة في تاريخ العرب ونهاية الحكم العثماني في الحجاز والمشرق العربي وخاتمة العهد العثماني .

4-وقوع بلاد الشام تحت الانتداب

أ-الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان:

[1] عبد الوهاب الكيالي، المرجع السابق، ج1، ص91.

***توماس لورانس:** هو الاسم الذي كان يوقع كتبه به عما عرف باسم جوق هيوم روس وكذلك في أي شوهما اسمان عسكريان استشعرهما للتستر تحتهما خلال العشرينيات والثلاثينات من القرن 20م وقد كان أفضل من أنجبتهم برطيانيا وأغربهم في الوقت عينه ومن الأسماء التي اشتهر بها لورانس العرب، صانع الملوك، ملك الجزيرة الغير متوج، أسماء رنانة حملها توماس إدوار لورانس. أنظر: توماس إدوارد لوارنس، ثورة في الصحراء، تر: أحمد إيبش،ط1، دار الكتب الوطنية، أبوظبي، 2013، ص ص7-9.

[2] قيس جواد الغزاوي، المرجع السابق، ص147.

[3] قدري القلعجين المرجع السابق، ص ص254-255.

بمقتضى مقررات مؤتمر سان ريمو تمكنت فرنسا من الحصول على كل من الانتداب على سوريا ولبنان فأخذت بذلك تبسط نفوذها على المنطقتين كلا على حدا وتعمل على تجزئتهما، ومن هذا فقد باشرت الحكومة الفرنسية أمر الحكم في سوريا فأقامت مقيما عاما يتولى رئاسة البلاد وملأت جميع الإدارات بالفرنسيين وربطت الاقتصاد السوري بالاقتصاد الفرنسي وأخذت تفرض سيطرتها بالقوة العسكرية[1] وهذا ما نجم عن ردة فعل قوية فقد نزل جيش الانتداب الفرنسي على سوريا نزول الصاعقة على الوطنيين السوريين وشعور أنها ضربة أصابتهم في أمانيهم الوطنية فاندلعت في البلاد تظاهرات صاخبة قامت بها الجماهير الغاضبة احتجاجاً على الانتداب وأعلن الإضراب في جميع المدن السورية وراح الشعب يطالب الحكومة باتخاذ إجراءات فورية فعالة لحماية استقلال البلاد[2].

من أجل هذا سارع الأمير فيصل إلى اتخاذ التدابير اللازمة فدرس إمكانية التجنيد، كما شجع الثورات وعين هاشم الأتاسي رئيس المؤتمر السوري رئيساً للوزراء بعد أن سقطت الحكومة السابقة التي كان على رأسها علي رضا الركابي*[3].

وقد غرم الأمير فيصل على السفر إلى اوربا للدفاع عن بلاده ولكن أثر أن يحصل على ضمان من بريطانيا بعدم حصول أي تغيير في الوضع العسكري أثناء غيابه ولكنه لم يحصل على ما يرغب فيه بل ولم يجد تشجيعاً على القدوم[4] وكان الجنرال غورو قائد القوات الفرنسية في الشام قد اعترف القضاء على استقلال سوريا قبل أن يشتد عودها فمنع الأمير فيصل من السفر ووجه له خطاباً جاء فيه ما يلي:" إننا لا نستطيع أن نسمح للأمير بالسفر إلى فرنسا قبل أن يقبل بمطالبنا وهذه المطالب سترسل إليه بعد أيام قليلة " ووجه له إنذاره الشهير في 20 جويلية 1920 والمتضمن ما يلي:

---

[1] زاهر رياض، الشرق الأوسط في العصر الحديث، مكتب الجامعات للنشر، القاهرة، 1957م، ص72.

[2] زين نور الدين، نشوء القومية العربية ط8، دار النهار بيروت، 1972، ص161.

[3] جورج أنطنيوس، المرجع السابق، ص491.

[4] مصطفى طلاس، الثورة العربية الكبرى، ط3، دار الشورى، بيروت، ص344.

-أن تقبل حكومة فيصل أن تخلي الجنود العربية سكة الحديد السورية من رياق إلى حلب.

-أن يحتل الجنود الفرنسيين محطات حمص، حلب جماه،إحتلال عسكرياً .

-أن تقبل البلاد الخاضعة لحكم فيصل التعامل بالورق النقدي الذي أصدره البنك السوري.

-أن تقبل الحكومة الشريفة انتداب فرنسا على بلادها

-أن تمنع التجنيد العسكري .

-أن تعاقب الثائرين في المذابح التي وقعت سنة 1920[1].

أثارت هذه الأخبار والقرارات هيجاناً كبيرا في دمشق وفي المحافل الحكومية والطبقات الشعبية وعقد فيصل مجلساً حضره كبار الزعماء ووزير الحربية واستدعى فيه الجنود وبدأ بجمع وسائط النقل وعقد اجتماعاً شعبياً حث فيه على مقاومة التقدم الفرنسي كما عقد المؤتمر السوري حلبته في 13 جويلية 1920 وقدم وزير الحرب بياناً للحكومة وأعلن :" إننا لا نريد إلى السلام والمحافظة على شرفنا واستقلالنا ولا نرفض المفاوضات ونقبل كل حال لا يمس استقلالنا وشرفنا ونحن مستعدون كل الاستعداد ومصممون على الدفاع على شرفنا وحقوقنا" [2].

امتزج الشعب السوري على تفتيت البلاد وقام بثورات متتالية فشكلت السلطات الفرنسية محكمة عسكرية حكمت بالإعدام والحبس الطويل على كل الأحرار ونقلت الضباط إلى جزيرة أرواد وفرضت عليهم الإقامة الجبرية، كما اعتمدت على التفرقة العنصرية بين الطوائف وشبعت الخلافات المذهبية وخنقت الحريات وراقبت الصحف

[1] محمد جميل بيهم، العهد المخضرم في سوريا ولبنان 1918-1922، المرجع السابق، ص ص 164-165.
[2] خيرية قاسمية، الحكومة العربية في دمشق، 1918-1920، دار المعارف، مصر، 1971م، ص197.

وسيطرت على المرافق العامة في البلاد وعلى الإدارة والمصالح العامة من شرطة، جمارك، مواصلات وربطت الاقتصاد الفرنسي بالاقتصاد السوري والعكس والعملة السورية بالنقد الفرنسي وحاربت الصناعات المحلية وشجعت الصناعات الفرنسية[1].

أما بالنسبة للانتداب الذي تعرضت له لبنان من طرف فرنسا فقد استغلت الأخيرة الانقسام السائد في بلاد المشرق والذي ساعد على تحقيق تطلعاتها من خلال فقدان التضامن الوطني والتعلق بمصالح ضيقة وشخصية والتنازع المتواصل على المكانة والنفوذ بين اختيار الوقت المناسب للتنفيذ[2] وتمهيدا لذلك أرسل رئيس الوزراء الفرنسي ميلران رسالة إلى الوفد اللبناني الثالث " المطران عبد الله " في 24 أوت 1920 تضمن موافقة على ضم البقاع إلى جبل لبنان وأن ما تسعى إليه فرنسا هو إنشاء لبنان الكبير[3] التي شكلها من متصرفة جبل لبنان، قضاء عميد في الجنوب، طرابلس في الشمال، بيروت، في الوسط وظم منها قسما من عكا وحصن الأكراد وأربعة أقطية كانت تابعة لولاية سوريا وهي بعلبكن البقاع راشيا وحاميا وضمان حدوده الطبيعية التي تمتد من جبال عكار في الشمال إلى حدود فلسطين في الجنوب وسمي لبنان الكبير بهذا الاسم تميزا لها عن حدود متصرفة لبنان التي كانت تابعة للباب العالي منذ سنة 1861[4].

وفي 31 أوت 1920 أصدر المفوض السامي الجنرال غورو قرارا أعلن فيه ولادة لبنان الكبير أخذ بالاعتبار الحدود الجغرافية التي حددتها رسالة ميلران وبهذا فقدت الدولة الجديدة كل تجانسها حيث تم توسيع حدودها لتشمل مناطق ذات أكثرية مسلمة .

---

[1] محمد عزة دروزة، نشأة الحركة العربية الحديثة، د ط، المكتبة العصرية، بيروت، د ت، ص18.

[2] زين نور الدين، نشوء القومية العربية،ط8، دار النهار، بيروت، 1972، ص163.

[3] علي عبد المنعم شعبه، تاريخ لبنان من الاحتلال غلى الجلاء 1918-1946، دار الفرابي للنشر، بيروت، 1994، ص28.

[4] زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديثفي شبه الجزيرة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1985، ص308.

وخلافا لكل الدويلات التي أنشأها الجنرال غورو في سوريا واختار لكل منها حاكماً محليا فقد وضع على لبنان الكبير حاكماً فرنسياً وبقي هذا المنصب حكرا على الفرنسيين حتى إعلان الدستور اللبناني في عام 1926 وكان الحاكم الفرنسي يخضع لأوامر المندوب السامي وكان هو الحاكم الوحيد والمطلق الصلاحيات في لبنان يساعده سكرتير عام للمفوضية العليا وأهم العوامل التي ساعدت فرنسا في سيطرتها على لبنان وإعلان الدولة الجديدة باسم لبنان الكبير هو استغلال الفرنسيين تعدد الطوائف والمذاهب الموجودة في لبنان فركزوا سياستهم على إثارة النعرة الطائفية بين السكان وحالفوا الطائفة المارونية المسيحية على حساب بقية الطوائف المسيحية والإسلامية في البلاد .

لقد استقبل إعلان الدولة الجديدة من طرف فرنسا بعد سيطرتها على لبنان والتي عرفت بلبنان الكبير باختلاف في مواقف اللبنانيين حول ذلك:

فالموارنة كانوا موافقين على الانتداب الفرنسي للبنان وتشكيل دولة لبنان الكبير لأن هذا يتيح لهم الفرصة بأن يتمتعوا بمركز ممتاز في مجال الاقتصاد والإدارة، أما المسيحيين الأرثودكس فلو يوافقوا على ذلك لأنهم كانوا متأثرين بحركة القومية العربية من جهة ولأنهم عانوا من النشاطات الكاثوليكية والبروتستانية من جهة أخرى وطبيعي أن أهل السنة كانوا يرفضون فكرة الكيان اللبناني ويتطلعون للاتحاد مع سوريا وخاصة أهل طرابلس الذين كانت مصالحهم الاقتصادية مرتبطة بسوريا أم الشيعة فقد كان موقفهم غامضا فبعضهم أيد الدولة العربية في دمشق بينما كان البعض الآخر يرى أنه من الأفضل بقاءهم ضمن دولة صغيرة متعددة الطوائف كي لا يذوبون وسط أغلبية سنية متفوقة عليهم كثيرا من الناحية العددية .

أما الدروز فقد كانوا مرتبطين تاريخياً بلبنان لدرجة أن الشخصية اللبنانية كانت مستمدة من تعايش طائفتي الدروز والموارنة رغم قيام المعارك الطاحنة بينهما[1]، ومن جهة أخرى يمكنها تلخيص موقف المسلمين حول هذا الانتداب وإعلان الدولة الجديدة في قولنا بأنهم كانوا يؤيدون الوحدة ما بين سوريا ولبنان، ولما لم يجدوا تجاوباً مع مطالبهم بدأ أكثرهم يرفضون المناصب الإدارية والسياسية في الدولة متجاهلين من أن ذلك السلوك سيبعدهم عن مركز القرار السياسي والاقتصادي ولما شعر المسلمون أن هناك خطة سياسية للقضاء على كل مسلم يتعامل مع الفرنسيين بصورة أو بأخرى[2].

5-وعد بلفور والمشكلة الفلسطينية:

لقد تحمس فريق من اليهود للدعوة إلى إيجاد وطن قومي لليهود منذ مؤتمر بال 1897 وهذا ما جعل الحركة الصهيونية تضع نفسها في خدمة القوى الاستعمارية البريطانية طوال سنوات الحرب ع 1[3] ومن جهتها فإن بريطانيا هي الأخرى تبنت قضية اليهود وتحمست لها وهذا من أجل استفادتها من القوة المالية التي يتمتع بها اليهود في العالم ومساعدتهم على كسب الحرب لصالحهم[4].

وبالرغم من الارتباك والفوضى اللذين كانا سائدان في الصفوف اليهودية بعد وفاة هرتزل إلا أنه ظهر عاملان كانا حصيلتهما ظهور الوعد وهما ظهور حاييم وايزمان كزعيم

[1] علي عبد المنعم شعيب ، تاريخ لبنان من الاحتلال إلى الجلاء 1918-1946م، دار الفرابي للنشر، بيروت، 1994، ص29.

[2] محمد فاروق الخالدي، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام، دراسة تحليلية للنصف الأول من القرن العشرين، ط1، دار الراوي للنشر والتوزيع، الرياض، 2000،ص ص391-395.

[3] محمد كمال الدسوقي، وعبد التواب عبد الرزاق سليمان، الصهيونية والنازيةّ دراسة مقارنة "، دار المعارف للنشر، مصر 1968، ص09.

[4] زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت،، 1985م، ص192.

للحركة الصهيونية ومساعيه في كسب ود بريطانيا لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وتزايد دعم الصهاينة الأمريكيين للأهداف الصهيونية طول فترة الحرب[1].

في 02 فيفري 1917 قام السير مارك سايكس المندوب البريطاني لشؤون الشرق الأدنى وبتكليف من الحكومة البريطانية بإجراء اتصالات ومفاوضات مع القادة الصهاينة[2] ومن هذا عقد اجتماعا مع وايز مان والذي انتهى بتلخيص رغبات الصهيونية فيما يلي:

-اعتراف دولي بحق اليهود في فلسطين .

-خلق جنسية قانونية للجالية اليهود في فلسطين .

-إنشاء شركة مساهمة يهودية في فلسطين تعطي حق امتلاك الأراضي لليهود .

-توحيد فلسطين تحت إدارة واحدة.

-إعلان المناطق المقدسة في فلسطين مناطق حرة .

ومن هذا فقد كانت المواد الثلاثة الأولى من هذه المجموعة تظاف للأهداف الصهيونية أما المادتان الأخيرتان فقد وضعتا لطمأنت فرنسا وروسيا[3].

---

[1] أحمد طربين، فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار 1897-1992، مركز دراسات الوحدة العربية للنشر، بيروت، 1970.

[2] فلاديمير لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديثة، ط7، دار الفرابي، بيروت، 1980، ص426.

[3] محمد عبد الرحمان برج، دراسات في التاريخ العربي الحديث والمعاصر، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1974، ص267.

***ناحوف سكولوف:** (1859-1936) صحفي وكاتب بولندي واحد قادة الحركة الصهيونية والمؤرخ الرسمي لها، اختير عام 1921 رئيساً للمجلس التنفيذي للمنظمة الصهيونية ورئيساً للجنة التنفيذية للوكالة اليهودية الموسعة 1929 ورئيس

ومن جهة أخرى فقد كان سايكس بيكو يقدر أهمية مواقف فرنسا للصهيونية فاختار " ناحوم سكولوف * للاتصال بجورج بيكو في السفارة الفرنسية في لندن وتباحثا معا في المسألة اليهودية وانتهى ذلك بأن وعد بيكو بإيصال أهداف الصهيونية إلى الحكومة الفرنسية[1] بعد مداولات عديدة بين جميع قادة الرأي العام في بريطانيا وأمريكا على النص الذي يجب أن يصدر به التصريح وانتهى التفاوض إلى إعلان بريطانيا وعدا لليهود بإعطائهم فلسطين وطناً لهم، وأن تقدم المساعدات والمعنويات لإنشاء دولة يهودية، وهذا ما سمي بوعد بلفور في 2 نوفمبر 1917 والذي جاء على شكل رسالة بعث بها وزير خارجية بريطانيا اللورد بلفور إلى البارون اليهودي " روتشيلد " أحد أثرياء بريطانيا [2]

للمنظمة الصهيونية العالمية (1931-1938)، ألف كتاب تاريخ الصهيونية 1917 أنظر: عبد الوهاب المسيري، مرجع سابق، ص ص244-245

[1] عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر،مرجع سابق، ص615.

[2] فلايديمير تسكي، مرجع سابق، ص426.

الخاتمة

الخاتمة:

من خلال هذه الدراسة المتواضعة حول سياسة السلطان عبد الحميد الثاني 1876 و 1909 في شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام نستنتج أن:

السلطان عبد الحميد الثاني نشأ في ظروف صعبة تمثلت في تمردات ومناورات داخلية وهي الانقلاب ووجود تيار يطالب بإصلاحات داخلية، وضغط المدارك عظم وخارجيا كانت الدولة العثمانية عرضة للتنافس والتكالب الأوربي، فكان لهذه الظروف أثرا واضحاً في شخصية السلطان عبد الحميد فكان لهذه الظروف أثرا واضحاً في شخصية السلطان عبد الحميد حيث تميز بذكائه وحنكته وصرامته وكان أول ما قام به عند توليه الحكم هو إعلان الدستور تحت ضغط الصدر الأعظم " مدحت باشا " الذي كان يرى فيه عبد الحميد أن أفكاره مستمدة من الغرب فقام بإلغائه بعد تحكمه في نظام الحكم وحصر كل صلاحيات الحكم في شخصه .

أما خارجيا فقد واجه الأطماع الأوربية، ودخل في حرب مع روسيا للأسف انهزم فيها، وأضطر لعقد مؤتمر برلين 1878م في ألمانيان أما بالنسبة للبلاد العربية فكانت تعيش أوضاعاً سياسية واقتصادية وثقافية متدهورة، فواجه السلطان ذلك بتشديد قبضته في الحكم من جهة، ومحاولة استمالة العرب من جهة أخرى من خلال تدعيمه لفكرة الجامعة الإسلامية وتقريب العرب إليه بمنحهم مناصب عالية في الحكم، كما اهتم بالتعليم فأنشأ العديد من المدارس والجامعات ولكي يربط الأقطار العربية بالدولة العثمانية اكثر، أنشأ خط سكة حديد الحجاز حتى يفشل مخططات العدو ونتيجة لهذه السياسة اشتد تيار الحركة القومية .

حيث شكلت جمعيات معارضة لسياسته، خاصة جمعية بيروت، السرية " التي نادت بالتخلي عن الاستبداد والانفراد بالسلطة وجمعية الاتحاد والترقي التي عملت على عزل السلطان، وأذاقت العرب المعاناة والفساد، وفي المقابل كان هناك من أيد السلطان حيث ظهرت شخصيات سياسية وفكرية نادت بإبقاء البلاد العربية تحت سلطة الخلافة العثمانية أمثال جمال الدين الأفغاني وأبو الهدي الصيادي انتقلت السلطة إلى أعضاء جمعية الاتحاد والترقي بعد الإطاحة بحكم السلطان الحميد الثاني في عام 1909.

تحالف العرب مع بريطانيا ضد الدولة العثمانية من خلال الثورة العربية باقتسام ممتلكاتها وأراضيها وذلك بالتعاون مع أنصار الفكرة القومية العربية والتركية حين مكن ذلك بريطانيا من دخول البلاد العربية وغرس الكيان الصهيوني بها وكذا وصلت الصهيونية والدول الأوربية إلى تحقيق مبتغاها في تشكيل الدولة اليهودية على حساب أرض فلسطين الذي انعكس سلباً على العرب عامة والفلسطينيين خاصة، وبدأت بذلك معاناتهم ومأساتهم والتي لا تزال مستمرة إلا يومنا هذا .

والرأي الذي نخرج به من خلال هذه الدراسة البسيطة لسياسة السلطان عبد الحميد الثاني في البلاد العربية، إن اضطر إلى تشديد قبضته في الحكم فسمي بالمستبد أو السلطان الأحمر وحقيقة الأمر أن الظروف التي كانت تعيشها الدولة العثمانية كانت أقوى من ونتيجة تلك الظروف انتهج تلك السياسة (الاستبداد) التي تمكن بها من صد الأطماع الأوربية ويتجلى ذلك في موقف من إنشاء وطن قومي لليهود بفلسطين .

كما يسجل له التاريخ نجاحه في توحيد المسلمين تحت راية الخلافة العثمانية خاصة من خلال فكرة الجامعة الإسلامية وبهذا كانت سياسته في صالح البلاد العربية والدليل على ذلك الأوضاع التي وصلت إليها وبعد خلعه أصبحت فريسة سهلة المنال بأيدي كل متربص بها وبذلك فقدت مكانتها التي حاول السلطان عبد الحميد الثاني جاهدا المحافظة عليها وحقيقة الأمر أن لولا أصالة الدولة العثمانية وعراقتها وشموخها لأصبحت

هباء منبثاً وطويت صفحاتها في القرن الثامن عشر أو القرن التاسع عشر ولكنها ظلت تقاوم عوادي الزمن أكثر من قرنين ونتيجة للزحف الاستعماري والكيد اليهودي والضعف الشديد الذي انتاب الدولة وهو ضعف لم يكن السلطان عبد الحميد مستعدا له غدت ممتلكات الدولة فيها بين الدول الأوربية الاستعمارية التي كانت تخطط منذ زمن بعيد للقضاء على الدولة العثمانية .

الملاحق

الملحق01: صورة السلطان عبد الحميد الثاني

المصدر: السلطان عبد الحميد الثاني مذكراتي السياسية 1891-1908، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1977، ص21.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا-قائمة المصادر:

1-أبو طبيخ مذكرات محسن 1910-1960، تر: محسن أبو طبيخ، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2001.

2-اوزتونان يلماز تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان، محمود سلمان،ط1، المجلد الثاني، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل تركيا، 1990م.

3-حرب محمد ، السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار، دار القلم بيروت، لبنان، 1990م

4-حرب محمد ، مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، ط3، دار القلم، بيروت، 1991م،

السلطان عبد الحميد الثاني، مذكرات السياسة 1897-1908، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1979م.

5-الصلابي علي محمد محمد ، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2001م.

2-المراجع:

1-الأحمد محمد علي ، سقوط الخلافة عرب بلاد الشام والدولة العثمانية، دار الإسراء، عمان، الأردن، 2006.

2-أرمسترونج هـ.س. ، الذئب الأغبر مصطفى كمال، دار الهلال، القاهرة، 1952.

آل زلفة محمد بن عبد الله ، الإصلاحات العمرانية في الولايات العربية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني على ضوء الوثائق والصور الفوتوغرافية، دار بلاد العرب للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2012م.

3-أوغلة عبد القادر دهدة ، السلاطين العثمانيين، تر: محمد خان، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1998.

4-برج محمد عبد الرحمان ، دراسات في التاريخ العربي الحديث والمعاصر، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1974.

5-برو توفيق علي ، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني، 1908-1914، معهد الدراسات العربية العالية، 1960.

6-بروكلمان كارل ، الشعوب الإسلامية، تر: نبيل أمين فارس ومنير، ط1، دار العلم، 1993م، (د.ب).

7-الجمل شوقي عطا الله ومجموعة مؤلفين تاريخ العالم العربي الحديث والمعاصر منذ الفتح العثماني للعالم العربي إلى الوقت الحاصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998.

8-حبيب كمال السعيد ، الأوليات والسياسة في الخبرة الإسلامية من بداية الدولة النبوية وحتى نهاية الدولة العثمانية (622م إلى 1908م) (1هـ إلى 1325هـ)، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2002م.

9-حسون علي ، تاريخ الدولة العثمانية، المكتب الإسلامي، ط2، 1415هـ-1994م.

10-الحلاق حسان ، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897-1909، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1999.

11-حليم إبراهيم بك ، تاريخ الدولة العليا المعروفة بكتاب التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العليا،ط1، 1988، مؤسسة الكتب الثقافية.

12-الخالدي محمد فاروق ، المؤامرة الكبرى على الشام دراسة تحليلية للنصف الأول من القرن العشرين، دار الراوي، بيروت، لبنان، 2000م.

13-الدرواري محمد زكي ملا حسين ، الكورد والدولة العثمانية، دار الزمان، دمشق، 2009.

14-الدسوقي محمد كمال ، وعبد التواب عبد الرزاق سليمان، الصهيونية والنازيةّ دراسة مقارنة "، دار المعارف للنشر، مصر 1968.

15-رياض زاهر ، الشرق الأوسط في العصر الحديث، مكتب الجامعات للنشر، القاهرة، 1957م

16-شعبه علي عبد المنعم ، تاريخ لبنان من الاحتلال غلى الجلاء 1918-1946، دار الفرابي للنشر، بيروت، 1994.

17-الشناوي عبد العزيز محمد ، الدولة العثمانية، دولة إسلامية مفترى عليها، الجزء الثاني، دار تكنوبرنت للطباعة، القاهرة.

18-الشيخ رأفت ، تاريخ العرب الحديث، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية طبعة معدلة ومزيدة منقحة، الكويت، 2005.

19-طربين أحمد ، فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار 1897-1992، مركز دراسات الوحدة العربية للنشر، بيروت، 1970.

20-طقوش محمد سهيل ، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط3، دار النفائس، بيروت، لبنان، 2013.

21-عز تلوه يوسف بك آسف، صفحات من تاريخ مصر، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، تقديم الدكتور زينهم محمد غرب مكتبة مدبولي.

22-العزاوي قيس جواد ، الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط (1994-2003م)، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان.

23-عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ المشرق العربي، 1922م، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (د.ط)، لبنان.

24-العيدوس محمد حسن ، تاريخ الجزيرة العربية والمعاصر، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الكويت، الطبعة الأولى، 1996م.

25-غرابية عبد الكريم محمود ، تاريخ العرب الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1987.

26-الفليج أحمد عبد الله ، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، مؤسسة صقر، الكويت، 1984.

27-الفواز كليب سعود ، المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين(1908-1918)، د ط، مكتبة الإسكندرية، د.م، 1997.

28-قدورة زاهية ، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت،، 1985م.

29-قدورة زاهية ، تاريخ العرب الحديث، شبه الجزيرة العربية، كياناتها السياسية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

30-كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيل أمين فارس ومنير بعلبكي، ط1، دار العلم، 1993، (د.ب).

31-كوندز أحمد أق وسعيد اوزتوك، الدولة العثمانية المجهولة 303 سؤال وجواب توضح حقائق عن الدولة العثمانية وفق البحوث العلمية، اسطنبول، تركيا، 2008م.

32-محروس حلمي ، تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997.

33-محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي، (1514-1914)(د ط)، دار تكنوبرنت القاهرة، 1985.

34-محمد مسعود جمال عبد الهادي ، وفاء رفعت جمعة، أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ الدولة العثمانية، ج2، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، 1955م.

35-مصطفى أحمد عبد الرحيم ، في أصول التاريخ العثماني، ط2، دار الشروق، القاهرة، 1986م.

36-مصطفى أحمد عبد الرحيم ، في أصول التاريخ العثماني،ط2، دار الشروق، القاهرة، 1986م.

37-منسي محمود صالح ، حركة اليقضة العربية في الشرق الأسيوي، دار الفكر العربي، الرياض، السعودية، 1994.

38-نوار عبد العزيز ، تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث، (د.ط)، دار الفكر العربي، 1998.

39-الهاشمي عبد المنعم ، الخلافة العثمانية، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2004م.

40-ياغي إسماعيل أحمد ، الدولة العثمانية في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، 1996م.

41-يحي جلال ، العالم العربي الحديث والمعاصر،ج1، المكتب الجامعي الحديث، د.ط، الإسكندرية، 2001.

3-الرسائل والأطروحات الجامعية:

1-زكية بوخالفة، السياسة العثمانية اتجاه القرمين العرب من القرن 18 إلى القرن 19 في المشرق العربي، رسالة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العالم المعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2015-2016.

2-عياض بن خرام الروقي، حروب البلقان والحركة العربية في المشرق العربي العثماني 1912-1913، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث، قسم الدراسات العليا، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، مكة، المملكة العربية السعودية، 1990م.

3-نور الدين طيب باي، الدولة العثمانية في عهد جمعية الاتحاد والترقي 1908-1918م، رسالة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ العالم المعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2015-2016م.

4-الهاشمي عبد المنعم، الحلاقة العثمانية،ط1، دار بن حزم، بيروت، لبنان، 2004م،

4-المجلات والجرائد:

1-محمد مزالي، الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني، المجلة التاريخية المغربية، الطبعة الأولى، تونس، 1989.

5-الموسوعات والمعاجم:

الكيـــالي عبـــد الوهـــاب ، موســـوعة السياســـة، ج3، المؤسســـة العربيـــة للدراســـات والنشر ،(د.م)(د.س).

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس المحتويات

إهداء

شكر وعرفان

قائمة المختصرات

مقدمة.....أ-د

الفصل الأول: شخصية السلطان عبد الحميد الثاني وظروف توليه الحكم

المبحث الأول: التعريف بالسلطان عبد الحميد الثاني.....7-16

المبحث الثاني: ظروف الدولة العثمانية عند تولي السلطان عبد الحميد الثاني الحكم.....17-32

الفصل الثاني: علاقة البلاد العربية بالدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني

المبحث الأول: أوضاع البلاد العربية قبيل حكم السلطان عبد الحميد..... 36-44

المبحث الثاني: البلاد العربية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني.....45-53

الفصل الثالث: ردود فعل سياسة السلطان عبد الحميد الثاني في البلاد العربية

المبحث الأول: الحركات المناوئة لسياسة السلطان عبد الحميد الثاني.....57-64

المبحث الثاني: أنصار سياسة السلطان عبد الحميد الثاني.....64-68

المبحث الثالث:أوضاع البلاد العربية بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني.....69-84

الخاتمة.....86-88

الملاحق.....90

قائمة البيبلوغرافيا.....92-97

فهرس الموضوعات.....97-99

ملخص باللغة العربية والإنجليزية

ملخص الدراسة:

في نهاية هذا البحث الأكاديمي كان لزاماً علينا، الإقرار بفضل السلطان عبد الحميد في الحفاظ على الدولة العثمانية وحمايتها من الانهيار وقد تأكدنا من أن الاتهامات الموجهة له كانت رد فعل طبيعي من اليهود والدول الأوربية وذلك لوقوف السلطان في وجوههم، ولم يسمح لهم بتحقيق غاياتهم المرجوة من تقسيم تركات الرجل المريض كما سموا الدولة العثمانية سابقا.

-السلطان عبد الحميد وصل للحكم في ظروف صعبة داخل البلاد العثمانية داخليا وخارجيا.

-السلطان عبد الحميد حاول التمسك بأصول الإسلام .

-ساهم في المحافظة على الترابط بين البلاد العربية والدولة العثمانية .

- بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني انفطرت العلاقة بين الدولة العثمانية والبلاد العربية التي أصبح مصيرها في يد الأوربيين واليهود .

-لم تبقى الدولة العثمانية تلك الدولة الحامية للإسلام والمسلمين .

Abstract

The present research examine the role of Sultan Abdelhamid in preserving the Ottoman state and protecting her from collapse .The research proves that the Jewish and The European accusation to Sultan Abdelhamid were a natural reaction for he did not allow the partition of The Ottman Empire .Sultan Abdelhamid ruled in vey difficult condition because of internal and external threats . He wanted to rule through the principles of Islam .He contributed to preserving the bond between the Arab lands and the Ottman state . After the overthrowing Sultan Abdelhamid there was a break between the Ottman state and the Arab world which had become in the hands of the European powers and the jews . The Ottman state is no longer the protector of Islam and the Muslims